409

HARLEQUIN

روايات أحلام

غداً لن ننسى

تريزا ساوثويك

www.elromancia.com
مرمورية

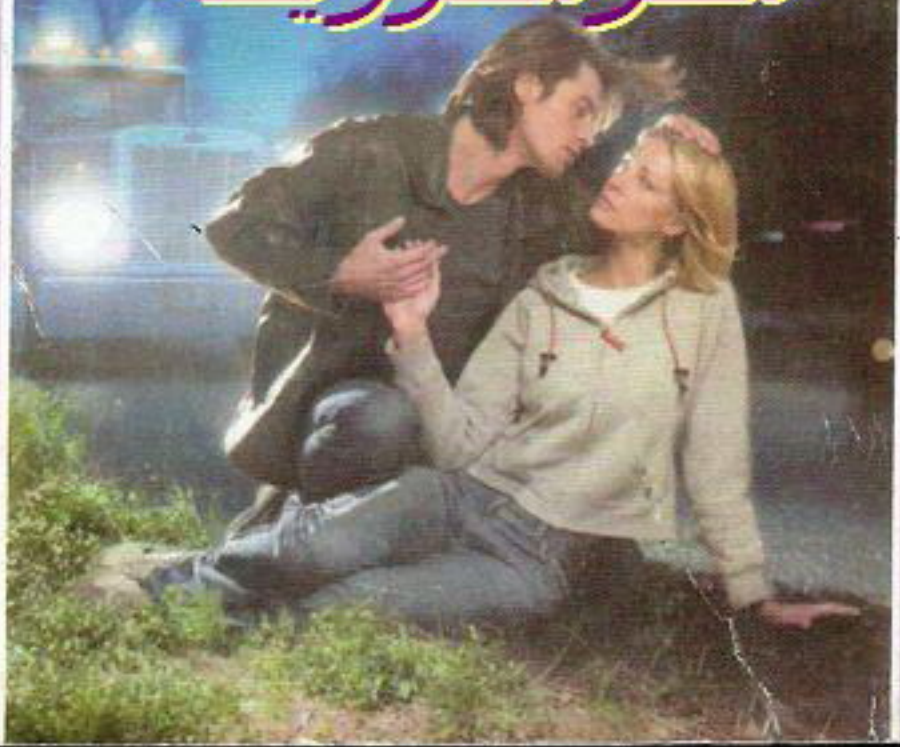

غداً لن ننسى

عندما رفض جاك فالنتين من والده، اتجه إلى نيويورك، حيث جنى الملايين. والآن عائلته بحاجة إلى ماله لإنقاذها. لذا عاد إلى لندن، مع سكرتيرته الشخصية ماديسون فورد، لينقذ عائلته أو... لينتقم!

كانت علاقة ماديسون مع رئيسها علاقة عمل فقط. لكن أشياء كثيرة تغيرت الآن... فجاك الذي عرفته لا يشبه هذا الرجل الذي يحمل كل هذا الغضب في عينيه وكل هذا الألم في روحه...

جاك هذا شخص قادر على جعلها تقع في غرامه بسهولة. ولكنه قادر أيضاً على تحطيم قلبها بسهولة أكبر....

ISBN 978-9953-15-377-3

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

تمهيد

نيويورك - ٢٣ كانون الأول.

ما إن سمع جاك صوت شقيقته حتى عاوده ذلك الإحساس الذي شعر به حين غادر المنزل مطروداً، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره بعد.

يا لها من فكرة سخيفة! هو جاك ثالثتين الذي تحدّى الحكمة التقليدية وجمع ثروة كبيرة، والآن... هي تطلب منه أن يعود إلى المنزل ثانية!

ضغط جاك على سماعة الهاتف إلى أن شعر بألم في أصابعه، وقال: «مضت اثنتا عشرة سنة، إيما. ما يعني أنه مضت أعياد ميلاد عديدة. فلِمَ عليّ العودة في هذا العيد بالذات؟».

ردّت بصوت ناعم يقطر غضباً: «ألديك أي شيء أفضل للقيام به؟».

انتفضت عضلة من عضلات فكه فجأة، لأن شقيقته خمنت أن ليس لديه شيئاً هاماً يقوم به.

- أي شيء سوف يكون أفضل من ذلك.

- حان الوقت، جاك.

نقله صوتها إلى أجواء لندن، فالأميركيون يحبون اللهجة البريطانية. صوتها الحريري الناعم الذي يحمل اللكنة الصلبة الحازمة أعاد إليه ذلك الإحساس القديم بالوحدة، وهو إحساس لم يدرك جاك أنه لا يزال موجوداً في أعماقه.

أدار جاك كرسيه على محورها، وحدق خارج نافذة مكتبه، مركزاً نظره على أفق نيويورك. بدا الأفق مظلماً، لكن عبر أضواء المدينة تراءت له النوافذ في البنايات العالية. لا بد أن هناك في الخارج، من يحدّق إلى نافذته

متمنياً امتلاك هذا المكتب بما فيه من موجودات باهظة الثمن؛ سجادته ذات النسيج المخملي، أثاثه الفخم وأجهزته الإلكترونية المتطورة. يحسّ هؤلاء الواقفون في الشارع بالبرد والخوف. وهم يتساءلون عما يشعر به المرء عند امتلاك كل ما يتمناه.

جاك يعرف ذاك الشعور لأنه اختبره بنفسه منذ اثنتي عشرة سنة، حين لجأ إلى هذه المدينة ووقف هناك وهو لا يملك شيئاً. يومها رفع بصره وأقسم أنه سيمتلك يوماً ما هذا المبنى التافه بأكمله. عديمو النفع لا يصبحون أصحاب ملايين، أما هو فأصبح مليونيراً.

– رغم كل شيء، مضت اثنتا عشرة سنة. هل تسمعني، جاك؟

– أجل. وما أسمعه يعني أن هناك شيئاً ما. ما الأمر، إيم؟

سمع تنهيدة كبيرة من الجانب الآخر للهاتف، بعدئذٍ قالت أخته: «حسناً! لدينا مشاكل هنا. نحن نواجه صعوبات في العمل ونحتاج إلى مساعدتك».

هل هناك صعوبات تواجه الشركة التي يقدّرها روبرت ثالنتين أكثر من أي شيء؟ حسناً! حان الوقت ليدفع هذا الكاذب، مطارد النساء ثمن أخطائه.

– أنا لست واثقاً إن كان عليّ الاهتمام بالأمر.

ردّت إيما عليه بطريقة فيها مزيج من الاستهجان والصلابة قائلة: «مهما أصريت على عنادك، فأنت ما زلت فرداً من هذه العائلة».

– هل حرّضك هو على القيام بذلك؟

– لا!

تنهدت إيما مرة ثانية وتابعت: «جاك، ماذا حدث بينكما؟».

في الماضي قام جاك بحماية والدته، فدفع ثمن ذلك غالياً.

– لم يعد لذلك أهمية، إيم.

الصوت الغاضب الصادر من الجهة الثانية جعله يتوقع أن شقيقته تقلّب الآن عينيها الزرقاوين باشمئزاز، وتعبث بجديلة من شعرها البنّي الفاتح

المجعّد. الصورة الحيّة في ذهنه جعلته يفتقدها.

قالت إيما بهدوء: «أسمع من صوتك أن المسألة ما زالت تعني لك الكثير».

استدار مبتعداً عن النافذة، وعاد يتكىء على كرسيه قائلاً: «أنتِ مخطئة! والآن، إذا كان هذا كل شيء...».

قاطعته بحدّة قائلة: «لا! ليس كل شيء. نحن بحاجة إليك جاك. وظيفتك هي استثمار الأموال في الشركات، وعمل العائلة بحاجة إلى الدعم المادي، وفي الواقع أنتَ أملنا الوحيد لاستمرار العمل».

– هناك الكثير من المستثمرين الذين يحبّون وضع أيديهم على جزء من الشركة.

– لكنهم ليسوا من العائلة. ولا أحد منا يريد أن يعطي جزءاً من الشركة لأي شخص من خارج عائلة ثالنتين. وأنت لن تتخلى عن العائلة، لأن هذا ببساطة ليس عملاً صائباً.

حتى بعدما تخلّت عنه العائلة؟ تساءل جاك قائلاً: «سوف يبقون أحياء، إيم».

– ليتني واثقة من ذلك مثلك.

خيّم الحزن على صوتها، وتابعت قائلة: «كما قلت لك جاك، مضت اثنتا عشرة سنة. تبدو هذه الأعوام كافية لإقامة السلام. آن الأوان لذلك. السلام على الأرض، المحبة، العطاء وما شابه تبدأ من العائلة».

أسند جاك مرفقيه إلى الطاولة المليئة بالأشياء المكومة وردّ قائلاً: «لا رغبة لدي في توزيع الصدقات».

شعرت إيما بالخيبة والفشل، ما جعل نغمة صوتها تزداد عنفاً، فراحت تقول دون تفكير: «ولا أنا. بعد أن اختفيت، لم يرغب والدي في مناقشة الأمر، وأمي كانت ضعيفة. أنا كنت في السادسة عشرة حين تركتني في هذا المأزق. من المفترض أن يعتني الأخ الأكبر بأخته الصغرى».

عرفت أخته الصغرى كيف تغرز السكين وتلويه بعنف. لقد أحبّها

www.elromancia.com

جداً. آه! وهو ما زال يحبها.

– لم يكن لدي خيار آخر إيم. كان عليّ المغادرة.

– هذا لن يغير حقيقة أنك تخليت عني، لكنني أعتقد أنك فعلت ما تحتاج إليه أنتَ. والآن أنا أريد منك شيئاً.

تمهّلت للحظة، ثم قالت: «أنا تزوجت، جاك».

احتاج جاك إلى ثانيتين ليسحب أفكاره من الماضي. هل أصبحت شقيقته الصغرى امرأة متزوجة؟ لِمَ لم يسمع بذلك من قبل؟

– تهانينا. من هو سعيد الحظ؟

– كان أميراً...

قاطعها جاك بسخرية: «بالطبع، عليه أن يكون أميراً».

ضحكت إيما بصوت سعيد، مختلف جداً عن ذلك الصوت الذي سمعه منذ لحظات. أردفت قائلة: «لا... سباستيان تزوّج حقاً ملكاً على ميريديا».

ميريديا. يعرف جاك أنها إمارة أوروبية، وتذكر أنه قرأ خبراً صدر في الصحف حديثاً عن فضيحة في الأسرة الحاكمة فيها بسبب الخلافة على العرش.

– سمعت بذلك.

– يهمني جداً أن تلتقي به.

– اسمعي، إيما...!

قاطعته بصوت حازم قائلة: «لم أطلب منك من قبل شيئاً أبداً، لكن أنا أريد ذلك و... بصراحة، أعتقد أنك تدين لي، جاك. حاول أن تأتي على عيد الميلاد المكان المعتاد لاجتماع العائلة. سأترقب حضورك».

قبل أن يرفض مرّة ثانية، انقطع الخط. أخذ جاك نفساً عميقاً وهو يعيد سمّاعة الهاتف إلى مكانها. أخته الصغرى تزوجت ملكاً... وهو فوّت ذلك...؟!

جعله ذلك يتساءل ما الذي فاته أيضاً؟ إيما لم تخبره أبداً أنها تشعر بأنه

تخلّى عنها. ولم تطلب منه شيئاً أبداً... حتى الآن...

– جاك، أنت مجنون!

دخلت مساعدته، مادي فورد، المكتب دون أن ترفع نظرها عن الاقتراح الذي سلّمها إياه سابقاً، بادرته قائلة: «أنت لا ترغب جدّياً بإنفاق المال على هذا! هذا جنون... إنها مغامرة... وفي وضعك هذا... أنت تجعلني أرغب في هزّك إلى أن تستيقظ من هذا الجنون».

استمرت بالكلام، لكنه لم يكن يصغي كلياً إلى مادي الشقراء الذكية ذات العينين الزرقاوين، مساعدته الواقعية الصريحة.

خلال السنتين الأخيرتين، أي منذ حضرت مادي إلى شريكته، أصبحت شريكة أكثر منها مساعدته. بات يعتمد على رأيها السليم، فأصبحت هي عقله المفكر.

هي أيضاً المرأة الفاتنة الوحيدة التي لم يعثر عليها بالصدفة. خطّط جاك لأن تبقى بقربه، لأن النساء اللواتي يستسلمن له يكن هنا اليوم ويرحلن غداً. وفي بعض الأحيان يرحلن في اليوم نفسه. لا يستطيع المجازفة بأن يخسر مادي لأنه بحاجة إليها إلى جانبه، رغم أن ما يدور في رأسه لا علاقة له بالعمل. في الواقع، لم يكسب ثروته هذه لولا إصغاءه إلى إحساسه الداخلي، وهذا الإحساس يقول له بأن يأخذها معه لمقابلة زوج إيما.

عندما توقفت عن الكلام لتلتقط أنفاسها، قال جاك: «ما رأيك بقضاء عيد الميلاد في لندن؟».

www.elromancia.com

١ - صوت من الماضي

لندن - يوم عيد الميلاد.

- أفترض أن أصحاب الملايين يواجهون المشاكل، أيضاً.

انتظرت مادي فورد ردة فعل المليونير الأعزب الجالس إلى جانبها في سيارة الأجرة، وجاك ڤالنتين لم يخيّب أملها. حملق إليها قائلاً: «ماذا يفترض بذلك أن يعني؟».

- آسفة. هل قلت ذلك بصوت عالٍ؟

فتحت عينيها فبدتا واسعتين وبريئتين قدر استطاعتها.

ردّ جاك وقد ظهر الغضب في صوته: «تعرفين جيداً أنكِ فعلتِ. لا تمارسي معي الآن الألاعيب التي تقوم بها الشقراوات، مادي».

أهو الغضب في صوته أم التوتر؟

إنه التوتر بلا ريب، وذلك ليس من عادات جاك. مهما كان العمل الذي جعله يصرّ عليها أن ترافقه في هذه الرحلة، يبدو أنه هام جداً بسبب التوتر الذي يظهر عليه.

بدأ الأمر يقلقها، فجاك ڤالنتين رجل غني، وسيم، ساحر ويوصف دائماً بأنه أكثر الرجال جاذبية في نيويورك.

بدا شعره الأسود القصير غير مرتب، وبدت عيناه الزرقاوان القاتمتان ذات وميض يوحي بالمشاكسة بطريقة مغرية جداً. ذلك الوميض كان له بالغ الأثر في نفسها، وأسر قلبها ليس لمرة واحدة بل لمرتين.

في البداية، تعلّقت مادي بجاك وافتتنت به، لكن سرعان ما لاحظت أنه لا يكتفي بامرأة واحدة. من جهته لم يحاول جاك التقرب منها، ما جعلها

تقتنع أنها ليست من النوع الذي يعجبه، ومن غير المحتمل أن يحوّل سحره نحوها. بدا الأمر مقبولاً بالنسبة إليها، فهي تحبّ عملها كثيراً.

عملت هي وجاك مع بعضهما بشكل جيّد طوال سنتين وأكثر. بدا كأن هناك توازناً بين الوعي والإدراك اللذين يميزانها وبين ميل جاك للتهور. شكّلا فريقاً رائعاً إلى أن قام بإفساد مشاريعها لعيد الميلاد. مع أنه لم يضايقها أو يسخر منها منذ أن غادرا نيويورك، إلا أن الطريقة التي يتصرف بها جعلتها تشعر بالذنب لأنها تصعب الأمور عليه. حاولت أن تضايقه قليلاً، علّه يتخلص من توتره بعد أن ينفس عن غضبه.

- إذا كنت تعني بكلمة «ألاعيب» حالة الغضب التي أشعر بها، اسمح لي أن أذكرك بأن لدي سبباً وجيهاً. إنه عيد الميلاد، وأنا في القارة الخاطئة! هل هناك سبب هام لعدم تأجيل هذه الرحلة؟

- إنها رحلة ليوم واحد، وسبق لي أن وعدتك بأن أعوّض لك عنها.

لم يعجبها جوابه، فتابعت مادي قائلة: «كيف ستعوض علي تفويت عيد الميلاد؟ كانت لديّ مشاريعي».

- أعرف. أوضحتِ لي ذلك من قبل.

هو ليس بحاجة لأن يعرف أن مشاريعها لم تكن تشمل قضاء العيد مع العائلة. إخوتها وأخواتها المتزوجين اختاروا قضاء العطلة مع عائلات أزواجهم وزوجاتهن، وهذه السنة قرر والداها القيام برحلة. دعياها إلى مرافقتهما في هذه الرحلة، لأنهما يشعران بالأسف على ابنتهما التي تبلغ الثامنة والعشرين من العمر، وهي ما زالت غير متزوجة ولا تواعد أحداً. رفضت مادي الدعوة لأنها تجعلها تبدو مثيرة للشفقة، لكنها لن تخبر جاك بذلك. هو عذّبها بدون رحمة، وتعذيبها من قبل أشهر أعزب في المدينة بشأن حياتها الخاصة التي لا وجود لها، أمر مهين جداً.

- إنها طيبة منكِ أن...

- لا! أنا لست طيّبة.

- حسناً! أنتِ سيئة. أستطيع التعايش مع ذلك.

www.elromancia.com

للحظة ظهرت ابتسامة جاك ثالنتين الساحرة السعيدة. هل تبدو ابتسامته فعّالة دائماً على هذا النحو، أم أن توتره جعلها تبدو جذابة أكثر من العادة؟ فكّرت مادي أنها لن تسمح لنفسها بالانجذاب إليه، فأردفت قائلة: «لا أصدّق أنك استخدمت سلطتك كرئيس لإحضاري إلى هنا».

- اختلاف الرأي بيننا لم يظهر أي إشارات تنذر بالتوقف. وفي هذا الوقت فإن القيام بهذه الرحلة هو الشيء الأنسب.

لم توافقه مادي لأن موقفه لم يعجبها، والآن حان الوقت لتذكيره بأنه لا يستطيع الانتصار عليها بسهولة.

- وجودي هنا لم يصبح مفهوماً الآن أكثر من السابق. منذ متى تطلب متي مرافقتك؟ وأيّ عملٍ لا يمكنه أن ينتظر يوماً واحداً؟ والأهم من ذلك، من يعمل في عيد الميلاد؟ هذا لا يعتبر عملاً في أميركا.

- إذاً، من الجيد أننا هنا في بريطانيا.

هل ردّ عليها بحدةٍ الآن؟ هذا غير ملائم، أيضاً. لكن قبل أن تسأله ما خطبه، توقفت السيارة بهدوء بجانب الرصيف أمام أحد المطاعم. عندها أدركت مادي أن الشجار بينهما منعها من رؤية معالم لندن. هي حقاً تريد التعرف إلى لندن، ولا يهمها إذا كان الظلام لا يسمح لها برؤية أشياء كثيرة. على الأقل وعدها جاك بقضاء بضعة أيام هنا، وهذا ما أزال مقاومتها أخيراً. سألته: «لماذا توقفنا هنا؟».

- عليّ القيام بشيء ما.

الحدّة التي ظهرت في صوته أنبأتها أن ما سيفعله هو بالنسبة إليه أشبه بتنفيذ حكم الإعدام عند الفجر. ظهرت على وجهه نظرة قاتمة، غاضبة أخافتها. ربما لأنها لم ترها من قبل، فسألته: «ماذا يجري، جاك؟».

- عليّ رؤية شقيقتي.

- شقيقتك؟!

لو أن مادي لم تشعر بالصدمة، لتمكنت من الرد بإجابة ذكية مناسبة. لكنها فوجئت بتصريحه هذا، فقالت ما فكرت به تماماً: «لم أعرف أن لديك

شقيقة».

- حسناً! الآن أصبحت تعرفين.

- ما الذي لا أعرفه عنك أيضاً؟

قالت ذلك حين فتح السائق الباب لهما للترجل من السيارة. هناك الكثير! كما فكّر جاك متجاهلاً سؤالها. فهو لم يخطط لإخبارها. سيرى إنما، ويقابل زوجها. سينفّذ مهمته ويغادر.

ملأ هواء لندن البارد رئتيه حين انسلّ خارج السيارة قبلها. مشى ببطء نحو مطعم بيلا لوتشيا الذي لم يستطع الفرار منه بسرعة كافية منذ اثنتي عشرة سنة. بدت البوابة الخارجية التي دفعها لتفتح مألوفة، كذلك الحديقة أمام المبنى.

لاقته أضواء بيضاء صغيرة تتلألأ في الشجيرات، ووميض خافت يأتي من خلال النوافذ المكسوة بالجليد، يتجمع كبركة من الذهب عند قدميه. هناك أناس في الداخل... إنها عائلته... وهو في الخارج ينظر إلى الداخل. تلك الفكرة كشفت عن إحساس فارغ عميق في داخله.

- جاك!

نظر إلى مادي، وشعر بالامتنان لوجودها معه، مع أنه مصمّم بألا يسمح لها بمعرفة ما في داخله. إنه يحتاج إلى وجودها فقط هذه المرة. لأنه لن يسمح لنفسه بأن يحتاج إلى أي كان بعد ذلك. قال: «دعينا ننهي هذا».

- أهذه طريقتك لجعلي مبتهجة مقابل تفويتي أكبر عطلة في السنة؟

سخريتها جعلته يبتسم. إن الصدق الموجع في كلام مادي لم يكن لازماً له أكثر من هذه اللحظة.

دفع الباب، ثم دخل إلى المطعم ونظر حوله. بدا المكان مختلفاً كلياً. رحل الأسلوب الإيطالي الأصلي وحلّ مكانه مطعم أنيق، حديث وعصري.

بدا المطعم هادئاً جداً حين استدار الجميع وحدقوا إليه بصمت. تعرّف إلى عمّه جون. كان واقفاً في وسط الغرفة حاملاً كوب عصير بيده ليشرب

www.elromancia.com

النخب التقليدي لهذه المناسبة. يقف إلى جانبه روبرت ڤالنتين...

التقت نظرات جاك بنظرات والده عبر الغرفة. تجمع بقية أفراد العائلة على جانبي الرجلين وراحوا ينظرون إليه وإلى روبرت. يستطيع جاك أن يجزم أنهم حبسوا أنفاسهم الواحد تلو الآخر. يمكنه بسط يده والتقاط الخلاف من الهواء.

مالت مادي نحوه قائلة: «الجميع يحدّق إلينا، جاك».

- أعلم.

- أتلاحظ أن كل شخص ينظر إلينا كما لو أنني أنا «العم سكروج» وأنت شبح الميلاد الماضي؟ هل نحن نتطفل على حفلة خاصة؟

- أجل، نحن كذلك.

لم يبعد جاك نظره عن والده. أحسّ بكل عضلة في جسده مشدودة وهو ينتظر من الرجل الذي طرده بأن يأخذ المبادرة أولاً. أمّا المرأة الشابة التي تقف إلى جانب روبرت فراحت تنقل نظراتها بينهما بقلق. بدأت الثواني بالتكتكة مثل ساعة موقوتة في جهاز تفجير.

أخيراً اندفعت المرأة الشابة مسرعة نحوه قائلة: «جاك، لقد أتيت! لم أتصور أنك ستأتي».

- إيما!

استطاع تمييز الصوت، لكن المرأة الشابة ذات الجسم الصغير التي تقف أمامه فاجأته. كانت ابنة السادسة عشرة ما تزال غير لبقة حين غادر، أما الآن فهي فاتنة ومثقفة. لم يعد شعرها بنياً فاتح اللون، بل أشقر ممواجاً ذا لون عسلي.

- أصبحتم جميعاً بالغين.

ناولته إيما كوباً من العصير وأعطت كوباً آخر إلى مادي قائلة: «أنت أيضاً تغيّرت. وصلت في الوقت المحدد لاحتفال العائلة».

- أتمنى ميلاداً مجيداً للجميع...

قال ذلك عمّه جون، كأن ما يحدث ليس أمر غير مألوف، ثم تابع قائلاً:

«... مع عطلة مليئة بالصحة، السعادة والنجاح».

ثم رفع كوبه قائلاً: «بصحة العائلة».

سُمعت في الغرفة همسات الموافقة حين رشف الجميع العصير من الأكواب البلورية.

وضع جاك كوبه، على الطاولة المغطاة بغطاء من الكتان الأبيض، دون أن يشرب نخب العائلة.

عبست إيما بسبب تخلّي جاك عن كوبه، لكنها قالت: «أهلاً بك في منزلك، جاك».

- هذا ليس منزلي!

حالما يقابل زوج شقيقته الجديد، يستطيع هو ومادي الفرار من هنا. نظر إلى شعرها الأشقر الساطع وعينيها الزرقاوين الكبيرتين، ساعياً لنفسه بالشعور بالانجذاب المألوف لامرأة جميلة. في وضع مادي، هو لن يستسلم لذلك الشعور لأنه يحترمها جداً. إنها مختلفة عن النساء اللواتي يواعدهن، وعلاقته بها مقدّسة كالفصل بين الكنيسة والدولة.

تجاهلت إيما كلماته اللاذعة، ونظرت إلى مادي قائلة: «من هذه إذاً؟».

مدّت مادي يدها قائلة: «ماديسون فورد، مساعدة جاك. يمكنك مناداتي مادي، والأفضل أن تناديني «العم سكروج».

سألتها إيما: «أما من مزاج لديك لعيد الميلاد؟».

- تركته في نيويورك. لدي مشاريع هناك.

قال جاك لشقيقته: «بعد اتصالك، قررت القيام برحلة عمل مبرمجة، وأقنعت مادي بمرافقتي. أين زوجك؟».

استدارت إيما لتشير إليه، ثم ابتسمت للرجل الذي انضم إليها مباشرة. وقف الرجل مستقيماً كالجندي، حتى عندما وضع يده حول خصرها. بدا طويل القامة، لكن ليس بطول جاك تماماً، شعره أسود متموج وعيناه بنيتان.

لمع وجه إيما بإعجاب حين مالت نحو الرجل قائلة: «سمو الأمير

www.elromancia.com

سباستيان ماركند دومونتير من ميريديا، أعرّفك بجاك ڤالنتين، شقيقي».

تصافح الرجلان، ولاحظ جاك أن قبضة الأمير قوية. تذكر ما كان يقوله والده: «عند المصافحة، اضغط دائماً على يد الرجل. لا أحد يحترمك إذا شعر بيدك لينة مثل سمك القد».

عندما لمعت كلمات والده في رأسه، عرف جاك أنه أخطأ في مجيئه. ثم نظر إلى مادي حين قبّل الأمير يدها.

قالت مادي: «سررت بمقابلتك يا سمو الأمير».

ردّ بلطف: «من فضلكِ، ناديني سباستيان».

نظرت مادي إلى إيما قائلة: «هذا يجعلك... ماذا؟ ملكة؟ أميرة؟ أنا لا أستطيع المحافظة على البروتوكول الذي يتطلبه مركز كهذا».

ردّت إيما بطرفة عين: «إيما يمكنها ذلك».

أردف زوجها قائلاً وهو يبتسم لها: «وبدقة متناهية».

تأملت مادي إيما قائلة: «أعتقد أن هناك ما يسمى المجوهرات الخرافية في الخزائن الملكية. إذا أريتني تاجك، يمكن لذلك أن يعوّض عن حقيقة تفويتي لعيد الميلاد في أميركا».

ضحكت إيما، واتكأت على أميرها الذي ضحك ضحكة خافتة، قائلة: «أنا متأسفة، التاج موجود في سرداب ميريديا الملكي. لكن حاولي القدوم لزيارتي مادي. لدي شعور أننا سنتسجم مع بعضنا البعض».

قاطعها جاك قائلاً: «لست متأكداً بأني أستطيع الاستغناء عنها».

ردّت مادي مصوبة عليه نظرة قاتلة: «أودّ كثيراً زيارة ميريديا، وعلى سيادته تدبر أمره من دوني».

- جاك!

استدار جاك وقد تعرف إلى صوت أخيه الأكبر، ماكس، فاندفع السرور في داخله. مدّ جاك يده وأمسكها ماكس، ثم ابتسما لبعضهما ابتسامة عريضة.

تنحنحت إيما قائلة: «سأدعكما أنت وماكس لتتحدثا مع بعضكما،

جاك».

سألتها مادي: «كم من الوقت ستبقين في لندن؟».

- نحن في عطلة لبضعة أسابيع.

نظرت إلى جاك متابعة: «وأنت، كم ستبقى هنا؟ هل تخطط لرؤية أمي؟».

ردّ قائلاً: «لم أفكر بالأمر».

- يجب عليك القيام بذلك.

وقفت إيما على أطراف أصابعها، وترددت لحظة قبل أن تقبل وجنته قائلة: «تبدو بصحة جيدة، لكنك لست سعيداً، جاك».

هذا التعليق أعاد اندفاع الفراغ نفسه الذي غمره حين نظر من خلال نافذة مكتبه؛ لماذا الآن؟ تدبّر أمره جيداً من دونهم طيلة تلك السنوات، مبرهناً أنه لا يحتاج إليهم أو إلى أي شخص آخر.

- أنا لست سعيداً؟! وهل يمكنك ملاحظة ذلك في خمس دقائق؟

أمسكت إيما يد زوجها، وشبكت أصابعها بأصابعه قائلة: «أجل، الآن بعد أن عرفت معنى السعادة، بات من السهل عليّ معرفة عدم وجودها. ستحدث لاحقاً».

ابتعدت هي وزوجها واختلطا بباقي أفراد العائلة. بعدئذٍ نظر جاك إلى ماكس وشعر مرة ثانية بتلك الوحدة الساحقة العميقة في نفسه. ماكس هو أخوه غير الشقيق، وكانا مقربين من بعضهما جداً. ماكس هو من عرّفه إلى الحفلات، الفتيات والسيارات السريعة.

في تلك اللحظة أدرك جاك كم افتقده، فقال: «تسعدني رؤيتك، ماكس».

- وأنا أيضاً.

نظر ماكس إلى مادي متابعاً: «ألن تعرفني إلى رفيقتك المميزة؟».

أجابت مادي بسرعة: «أظن أنني مميزة، فجاك لديه الكثير من «الرفيقات» لكنني لست واحدة منهن».

www.elromancia.com

- أخبار ممتازة. أنا ماكس ڤالنتين.

خمّنت مادي قائلة: «جاك هو أخوك، أليس كذلك؟».

- تماماً!

قالت: «مادي فورد، مساعدة جاك. لم أكن يوماً إحدى نسائه المميزات، لكنني اضطررت بدافع من الواجب إلى تهدئة الكثيرات من هؤلاء «المميزات» بعد أن أصبحن «غير مميزات» في حياته».

ابتسم ماكس قائلاً: «أنتِ امرأة مشاكسة كما يبدو».

شعر جاك بالذهول حين اندفع وميض عنيف من الاستياء في داخله. سمع نفسه يقول: «أنتَ لست النوع الذي تحبه مادي، ماكس».

سألته مادي: «كيف تعرف ذلك؟».

- في الواقع، ماكس شخصية مختلفة.

أنهت مادي كوبها وردّت على جاك بعناد قائلة: «عندئذٍ، ربما علي التعرف عليه وعلى شخصيته أكثر».

لم يكد جاك يشعر بالسرور لرؤية شقيقه حتى شعر في الوقت نفسه برغبة في أن يلوي عنقه لأنه يغازل مادي. في تلك اللحظة انضم والده إليهم.

وضع الرجل الكبير يده على كتف ماكس قائلاً: «وهكذا، عاد الابن المبذر!».

٢ - أبعد من الكلمات

المرة الأخيرة التي واجه فيها جاك ڤالنتين والده وجهاً لوجه، بدا روبرت ڤالنتين غاضباً. أما الآن فلم يظهر أي انفعال، ولم تبدُ عليه المفاجأة. إنه ما زال وسيماً، وتلك المسحة الفضية في شعره تعطيه مظهراً مميزاً. لم تكشف عيناه السوداوان عن أي شعور تجاه ابنه الذي أمضى ثماني عشرة سنة محاولاً لفت انتباهه. ذلك الابن الذي يناضل في هذه اللحظة للتحكم بحماسه الطبيعي... ذلك الابن الذي يتعلق مصير هذا المطعم به.

سخرية الموقف جعلته يبتسم. منذ اثنتي عشرة سنة تجرأ جاك على رفع بصره إلى والده، أما الآن فهو ينظر مباشرة إلى عينيه. لقد أصبح رجلاً قوياً، ولم يعد ذلك الولد غير الواثق من نفسه، الذي يحتاج بشدة إلى رأي والده.

- مرحباً، أبي!

- جاك!

ابتسم روبرت كالمعتاد متابعاً: «مضى وقت طويل. لمن ندين بهذه المفاجأة غير المتوقعة؟».

- اتصلت بي إيما.

لمع شيء في عيني روبرت قائلاً: «هل فعلت ذلك».

- أجل، اتصلت لتخبرني بأنها تزوجت.

تحركت عضلة في فك والده وسأله: «هل قالت شيئاً آخر؟».

لو أن شخصاً آخر شدّ فمه بهذه الطريقة لما عنى ذلك شيئاً. أما عندما يشد والد جاك شفته العليا المتصلبة أصلاً، فهذا يعني أن التوتر يسيطر على الرجل الذي اعتقد جاك مرّة أنه لا يقهر. ساور جاك شعور بالارتياح.

www.elromancia.com

إذا ما اعتُبِر شخصاً سيئاً لأنه يشعر بالسرور بسبب المشاكل التي يعاني منها والده، فليكن.

ردّ عليه جاك قائلاً: «قالت إنها تريد مني مقابلة زوجها».

- سباستيان! إنه رجل جيّد.

هزّ جاك كتفيه معلّقاً: «يصعب معرفة ذلك في دقائق قليلة، لكن شقيقتي تبدو سعيدة».

- كبرت إيما وتحولت إلى امرأة شابة جميلة وواثقة من نفسها.

- أجل، أصبحت كذلك.

يا للتأثير الغريب الذي يتركه على المرء العيش بعيداً عن روبرت ثالنتين!

قال روبرت: «سمعت أنك أسّست عملاً جيداً لنفسك، جاك».

- هل يفاجئك هذا؟

بدلاً من الإجابة، حوّل روبرت نظره إلى مادي سائلاً: «من هذه؟».

مدّت مادي يدها قبل أن يقوم والده بافتراضات خاطئة، قائلة: «مادي فورد، مساعدة جاك».

صافحها روبرت قائلاً: «روبرت ثالنتين. سررت بالتعرف إليكِ. أهلاً بكِ في بيلا لوتشيا».

- شكراً.

- هل زرت إنكلترا من قبل؟

هزت مادي رأسها: «هذه أول زيارة لي».

ابتسم روبرت معلّقاً: «موسم عيد الميلاد في لندن هو أفضل وقت لتتعرفي على البلاد».

تدخل جاك قائلاً: «لدينا عمل هنا».

ردّ والده بصوت يرشح افتتاناً، موجهاً كلامه إلى مادي: «آمل ألا يمنعك العمل من رؤية بعض معالم لندن».

- لن يمنعني. وعدني جاك بذلك.

ابتسمت مادي بفرح، ما دل بوضوح بأن سحر ثالنتين قد نال منها.

تابعت تقول: «من العار أن أقطع هذه المسافة كلها وأعود دون أن أشاهد معالم لندن. السفر هو أحد الأشياء المفضلة التي أقوم بها».

حذرها روبرت قائلاً: «لا تؤجلي الأمور، مادي. عمل كثير دون لهو...».

كاذب! مخادع! تقدّم جاك خطوة، وتوقف على مسافة قريبة من والده، وقال وهو يهتز غضباً: «وكيف تستطيع أنت معرفة التوازن بين العمل واللهو. نظراً للوقت الذي منحته لعائلتك، لأمكن أن تكون أطفالاً عديمي القيمة. لطالما كنت تلهو مع نساء غير زوجتك، عندما لا تكون منغمساً في العمل».

وضعت مادي يدها على ذراعه قائلة: «جاك...!».

بالكاد أحسّ بلمستها، لكن نبرة صوتها لفتت انتباهه. تعبير الصدمة على وجهها أزال الضباب المتوهج للغضب من رأسه. أطلق زفرة عميقة قائلاً: «سنغادر، مادي».

تحول تعبير الصدمة إلى تفاجؤ وبدا التساؤل في عينيها، فقالت: «لكن... إنه...».

قاطعها جاك قائلاً: «لا نستطيع البقاء».

عبس روبرت قائلاً: «قطعتما مسافة طويلة. وبالتأكيد يمكنكما تناول العشاء...».

ردّ جاك بحدة: «لدينا مشاريع أخرى».

أتى جاك إلى هنا بسبب إيما، لكنه لا يدين لهذا الرجل بشيء، كما أن هذا المكان يحمل ذكريات غير سارة له. هنا في هذا المكان تفكك العالم الذي كان يعرفه. صحيح أنه تمكن من إعادة بناء نفسه، لكن أحداً لن يكون مهماً بالنسبة له مرة أخرى.

بعد أن سحب جاك مادي بقوة وبسرعة إلى الخارج، حيث البرد القارس، اعترف بسخرية القدر للمرة الثانية، ولم يعجبه ذلك. كما حدث تماماً تلك الليلة منذ اثنتي عشرة سنة، لم يستطع الخروج من بيلا لوتشيا

بسرعة كافية.

الفارق الوحيد هو أنه هذه المرة يغادر مع مادي، المرأة الوحيدة التي يثق بها.

بعد أن وصلا إلى ديورلي هاوس حيث حجزا جناحاً لهما، لم تستطع مادي الانتظار، فخلعت ملابس الرحلة وارتدت ثياباً مريحة أكثر. ليتها تستطيع أن تُخرج هذه الأفكار من ذهنها بسهولة! في الواقع، أثار المشهد في بيلا لوتشيا مشاعرها.

لم ترَ جاك في هذه الحالة أبداً. العنف المكبوت الذي أحسّت بوجوده في داخله فاجأها. إنها معتادة على سحره الهادىء، وظنت بعد مقابلة والده أنها ميزة ورثها عنه. جاك، هذا الرجل الغامض مع هالة من الخطر المهدّد، هو شخص لم تعرفه على الإطلاق، ولا تستطيع التوقف عن التفكير به.

إنها لا تريد التفكير بجاك خارج أوقات العمل، إذ وفقاً لما يقال فإن التفكير به خارج نطاق العمل يعني الاحساس بشيء خاص نحوه على المستوى الشخصي. رجال كجاك يعتبرون بعيدي المنال بالنسبة إليها. بعد أن تعرّفت إليه، وضعته مادي في فئة الأغنياء المبذرين الذين لا يكفون عن مطاردة النساء. لكن بعد رؤية ردة فعله السريعة تجاه والده، بدا من الأصعب إيقاؤه ضمن هذه الفئة. الكلام القليل الذي قاله كشف لها بأنه على الأرجح ورث ولع والده بالنساء، كما ورث السحر للتأثير عليهن وجعلهن يتعلقن به.

والآن ها هي تتشارك الجناح مع الرجل. هو في الغرفة الرئيسية، وتفصل بينهما غرفة الجلوس. لكنه فجأة بدا لها قريباً جداً.

اللعنة! كان عليها إخباره بما يستطيع أن يفعله في عيد الميلاد في لندن. طرقة غير متوقعة على الباب جعلتها تقفز من مكانها مجفلة. مشت إلى الباب وفتحته قائلة: «ماذا؟».

- طلبت العشاء لكلينا.

أشار جاك إلى طاولة الطعام المرتبة وراءه، وقد وُضع عليها غطاء من الكتان، بضع أوانٍ من الخزف الصيني، شموع مضاءة، وصحنين أنيقين.

كل شيء بدا جميلاً مثل جاك. هو أيضاً قام بارتداء ثياب مريحة. ارتدى بنطلوناً من الجينز ملائماً تماماً لجسده المتناسق، كما لو أنه صنع خصيصاً له، وربما هو كذلك. أما الكنزة الصوفية ذات اللون الأزرق البحري فقد جعلت عينيه تبدوان شديدتي الزرقة، لاسيّما أن آثار الحقد السابق لا تزال فيهما ما جعلهما تبدوان قاتمتين. شعرت مادي كأن صاعقة من البرق من سماء زرقاء صافية قد ضربتها. فهاتان العينان تنشران فتنة صاحبهما دون أن يحرّك هو إصبعاً أو يقوم بأي مجهود لذلك.

سمّاها أخوه مشاكسة، لكنها لا تشعر بأنها كذلك في هذه اللحظة. يمكنها مضاهاة الرجال في دنيا الأعمال والسير معهم على قدم المساواة. يمكنها التحدث عن توظيف الأموال وتحريك رؤوس الأموال مع جاك بصورة عملية محصنة. لكن شيئاً ما أصابها هذه الليلة، ولم تكن متأكدة تماماً ما هو أو كيف حدث...

أدركت مادي أن مجرد رؤيته سبّبت وخزاً خفيفاً في معدتها، وأنها تشعر بوجوده بطريقة غير مرغوب بها بالنسبة لها.

- أنا لست جائعة. تأخر الوقت، وأنا سـ...

- نحن ما زلنا في توقيت نيويورك. وبعد مغادرتنا المطعم، عبّرت بوضوح عن استيائك بسبب عدم بقائنا، لأن الرائحة الشهية للطعام جعلت لعابك يسيل.

ليس بقدر ما هو الآن، فكرت مادي بذلك، مبعدة نظرها بالقوة عن نطاق صدره. رأته من قبل مرتدياً سترة صوفية وبنطلون جينز، لكنها لم تره غاضباً إلى درجة تدفعه إلى التقاتل مع الآخرين. فكرت أن بعد المعركة، يملك المحاربون كمية فائضة من الأدرينالين يقومون بتوجيهها إلى نشاطات أخرى، قد تكون نشاطات جسدية ذات طابع خاص. أزعجها أن تكون في متناول يده الآن، مع أن ذلك سيبدو ممتعاً في الوقت نفسه.

- اختفت الروائح المسيلة للّعاب، ولم أعد أرغب بتناول الطعام.

ثم تابعت تسأله: «منذ متى أصبحت تنتبه لانتحابي؟».

- وهل قلت إنك كنت تنتحبين؟

أجابته مادي قائلة: «لا، لكن هذا ما عنيته. كانت تلك لحظة ضعف، وأنا أحاول العمل على إصلاح الأمر».

- لمناسبة الحديث عن العمل، أنا الرئيس هنا، وأنا أرى أنك بحاجة لأن تأكلي. أنا لست مديراً للأرقاء عديم الرحمة.

أشارت مادي إلى الطعام على الطاولة، وسألته قائلة: «وأنت تحاول إثبات ذلك بالتأكد من أن المستخدم الخاضع يتغذى بصورة جيدة، ويملك القوة ليعطي حتى آخر نقطة من دمه. أليس كذلك؟».

رفع أحد حاجبيه القاتمين قائلاً: «لم أعرف من قبل أن لديك ميلاً إلى الدراما؟».

- أنا أملك ذلك الميل دائماً.

لكن رؤية وجه مختلف لجاك حرّرتها. هي تعرف الكثير من خفايا عمله وتعرف قصة ذلك الرأسمالي المغامر الذي سار قدماً إلى الأمام، لكنها لم تدرك حتى اليوم أنها لا تعرف سوى القليل عن حياته الشخصية. لقد شاركته هي بتفاصيل حياتها، أما هو فلا. لم تعرف عنه سوى مغامراته مع النساء اللواتي يستبدلهن كل شهر، فعلاقته بالمرأة نفسها لا تدوم طويلاً. لم يؤثر فيها هذا الأمر، مع أن بعضهن قد يلجأن إليها لمؤاساتهن بعد أن يجدن صعوبة بالتعامل مع رفض جاك لهن.

كان جاك ما يزال واقفاً بانتظارها. إن هذا الرجل لا يقبل بالرفض كإجابة. إذا ما قرر بأنه يريد منها أكثر من مشاركته العشاء، فإنها ستجد نفسها في ورطة كبيرة.

لم تكن يوماً شاكرة بقدر ما هي الآن لأنها ليست من النوع الذي يجبه من النساء.

- حسناً، جاك! دعنا نأكل.

سحبت كرسياً، ثم جلست ورفعت الغطاء المعدني من فوق الطبق الرئيسي متفحصة الديك الرومي المحشو والمزين ببراعة. قالت: «إنه حقاً

عشاء عيد الميلاد».

عندما بدأت مادي بتناول الطعام، اكتشفت أنها فعلاً جائعة وأن الطعام لذيذ.

- من كان يظن أن خدمة غرف الفندق في العطلة تكون لذيذة جداً؟

- عندما يتعلق الأمر بفندق خمس نجوم، يجب ألاّ يكون هناك مجال للشك. على المرء أن يكون واثقاً أن بإمكانه الاعتماد عليه، ما يعطيه سبباً لمكوثه هنا.

- هذا إذا كان المرء يستطيع تحمل عبء الإقامة في مثل هذا الفندق.

هي تعرف أن جاك يستطيع تحمّل ذلك.

تناولا الطعام بصمت للحظات، ثم رفعت مادي بصرها ونظرت إليه، فارتكبت بذلك خطأ كبيراً. شدّها تعبير الاكتئاب على وجهه بقوة، فهي لم ترَ جاك من قبل مكتئباً. وذُهلت مرة ثانية بسبب معرفتها القليلة به. من جهة، هي تشعر بأمان أكثر بعدم معرفة أشياء جديدة، ومن جهة ثانية، تلك السمة القاتمة على وجهه تجعلها تريد القيام بشيء ما لتبعدها عنه.

سألته: «إذاً، هل يمكننا التحدث عن عائلتك؟».

- لا!

سحبت مادي شوكتها من جانب إلى آخر في البطاطا المهروسة، لكي تختفي صلصة اللحم فيها. من خلال نظرة سريعة على جاك، أدركت أنه يبدو كرجل ذي أحاسيس مكبوتة بحاجة إلى التحرير. لهذا السبب فإنها لن تقبل بكلمة «لا» كإجابة.

- اعتقدت أنك ستقاتل والدك.

حدّق جاك في وجهها قائلاً: «وهل ما زلت تعتقدين ذلك الآن؟».

لاحظت أنه رفع مستوى الإجابة بطريقة ملتوية، فأضافت قائلة: «لم تخبرني أبداً أن لديك والدين».

- كل شخص لديه والدان. أرى أن إثبات الشيء الواضح هو إهانة لذكائك.

www.elromancia.com

لم تحمل ابتسامته روح الدعابة، وإنما جعلتها ترتجف. لكن ذلك لم يوقفها فتابعت قائلة: «أعتقد أن والديك مطلقان، أليس كذلك؟ إذاً، أين والدتك؟».

- في دبلن.

قطع جزءاً من قطعة اللحم ووضعها في فمه. لم يشح بنظره عن نظرها أثناء مضغه الطعام.

- هل تفكر في رؤيتها؟

- أشك في أن يكون لدي سبب لزيارتها.

قالت: «أقصد، الآن بما أنك هنا».

- نحن لسنا في إيرلندا. لندن هي في إنكلترا.

- أشكرك على درس الجغرافيا.

عرفت مادي أنه يحاول بتعمد أن يصرفها عن غايتها. كما عرفت أنه يستطيع مضغها وبصقها إذا ما حول تركيزه عليها شخصياً. لكنها طوّرت مظهراً كاذباً متيناً، وبالتالي لم ينتصر عليها. شعرت بالامتنان لذلك في هذه اللحظة.

- كما تعرف، ما زالت اللهجة البريطانية لغز كبير بالنسبة لي. سأقول ذلك بصورة أدق: ما عنيته هو، بما أننا قريبين جداً، هل ستقوم بزيارتها؟

- إنها مسألة وقت، أنا لست واثقاً...

- حباً بالله، جاك! قطعنا كل هذه المسافة لنكون هنا. الذهاب إلى إيرلندا مثل الذهاب من نيويورك إلى نيوجرسي.

- سأفكر بالأمر.

تأملت مادي نظرته الغامضة. يعمل جاك وفق حدس مفعم بالشجاعة فلا يحتاج لأكثر من جزء من الثانية ليقرر أجل أم لا. هو لا يفكر كثيراً في العادة، فذاك عملها هي. عرفت أنه سبق وأخذ قراره وعزم على تغيير الموضوع.

- أحييت شقيقتك إيما.

أنهت مادي الشراب في كوبها، وتابعت قائلة: «تبدو ودودة ولطيفة».

- لا أريد التحدث عن عائلتي.

وكأنها هي تريد ذلك! هناك راية حمراء أخرى تشير إلى أن هناك شيئاً ما غير صائب. جاك هو عادة منفتح وصريح، بل صريح جداً. إنه يخبرها بشكل دائم أكثر ممّا تريد معرفته عن المرأة الأخيرة التي يخرج معها. أما الآن فهو منغلق ومنعزل. فما الذي يجري؟

استغربت الطريقة التي ينظر فيها إليها... شاركته مادي العشاء مراراً قبل اليوم، ولم يكن الأمر بهذا الشكل. لطالما طلبا عشاءً إلى مقر الشركة، لكن لم يكن هناك أي درجة من الحميمية. لكن هذا العشاء يبدو حميماً. الله وحده يعلم أن ليس لديها خبرة، لكنها تكون بلهاء إذا لم تشعر بالطاقة المكبوتة في داخله. ويبدو أن تلك الطاقة الموجّهة نحوها تؤثر في عمل دفاعها. هذا الدفاع الذي لم ينجح رجل بالتأثير عليه منذ أيام الجامعة. عليها أن تحمي نفسها من ذلك بطريقة ما، حدّثته قائلة: «أخبرني عن ماكس؟».

فجأة التمعت عيناه بوهج قوي، اتّقد من خلال الحزن فقال: «ماذا عنه؟».

- حسناً! هو جذاب جداً.

- المظاهر تخدع أحياناً.

ردّدت قائلة: «بالحديث عن المظاهر، هناك تشابه بينكما. أهو أيضاً يعامل النساء كالمناديل الورقية؟».

- المناديل الورقية؟!

- يمكن التخلص منهن بسهولة كالمناديل الورقية.

قال لها مؤكداً رأيه: «ماكس ليس من النوع الذي تفضلين».

- كيف تعرف نوع الرجال الذي أفضل.

- قابلت رجلاً أو اثنين من معجبيك: المحاسب...

ارتشف رشفة من الشراب أثناء تذكره للحظة مضيفاً: «... أخصائي

الكمبيوتر، أستاذ الكيمياء. لم أرَ جاذبية كيميائية في أيّ منهم».

- وكأنهم سيظهرون جاذبية كيميائية أمام رئيسي.

- إذا كان هناك ذرّة صغيرة، لا يستطيع المرء إخفائها.

- أنت تعرف الكثير.

فكرت مادي أنها تخبىء أحاسيسها عن جاك في هذه اللحظة، حين ركّز هاتين العينين المذهلتين عليها. تقطّع نبضها فأخذت نفساً عميقاً، وسألته: «هل المضيّ من امرأة إلى أخرى يجعلك صاحب هذه الخبرة القوية؟».

اتكأ جاك إلى الوراء في كرسيه وأجاب: «اعتبريني عالماً... أجري تجارب حتى أصل إلى شيء مناسب».

- لا تراهن حتى على ذلك معي. أنتَ لن تشعر بالسرور من التجربة إذا انفجر اختبار علمي في وجهك. يحدث ذلك بشكل دائم ومزعج.

- وكيف تعرفين هذا؟

- يكفي أن أعرف أنجيليكا تيديسكو.

- آه! إنها فتاة جميلة.

أسند مرفقيه إلى الطاولة وابتسم ابتسامته الماكرة الشريرة. هزّت مادي رأسها قائلة: «لا تبدو «فتاة» ملائمة لوصفها. كان عليّ التقاط أشلائها المتناثرة حين أتت إلى المكتب باكية».

- ما دامت العلاقة مستمرة، فإنها تكون متبادلة ومرضية.

شبكت مادي يديها على الطاولة قائلة: «علاقاتك لا تستمر أبداً، جاك، لماذا؟».

رفع إحدى كتفيه العريضتين باستنكار، وقال: «أنا لا أفتش عن علاقة دائمة. ألا أحظى بالتقدير لإرسال الورود وقطع العلاقة، قبل أن يتأذى شخص ما؟».

- أنتَ لاعب تضرب وتهرب. ألا تعرف أن هناك شيء مثل الحب من النظرة الأولى؟

تقوّس أحد حاجبيه القاتمين وقال: «مادي، لم تكن لديّ فكرة أنك امرأة

رومنسية».

تجاهلت كلماته التي وخزتها وعلّقت: «من الممكن ألاّ تتأذى أنت، لكن كيف تعرف أن الآخرين لم يتأذوا؟».

شعرت مادي بالأسى من أجل كل النساء اللواتي مررن في حياته أمثال أنجيليكا تيديسكو. هي تعرف أن الورود لا تشفي قلباً مجروحاً، وأن الوقت وحده يفعل ذلك. الوقت والوعد بعدم تكرار الخطأ نفسه. أما جاك فالخطأ مكتوب على جبينه كأنه هوية راسخة لديه.

التقت نظراتها بنظراته وهي تقول: «يظهر لي أنك تشبه والدك كثيراً».

أجابها بصوت حاد جداً: «أنتِ مخطئة».

- أنا مخطئة؟ ماذا قلت له الليلة؟ اتهمته بالانغماس بالعمل واللهو مع النساء أليس كذلك؟ أنت وصفت نفسك بالضبط، جاك.

تغيّرت نظرته إليها فجأة، والتوت عضلة في فكّه حين قال: «ألم تكتفي من الأسئلة والملاحظات؟».

ردّت عليه مادي بتحدٍ: «إنها جزء من عملي. ماذا تتوقع مني غير ذلك؟ على الرغم مما قلته، يبدو والدك رجلاً ساحراً».

عبس جاك قائلاً: «صدقيني مادي. إنه ليس ذلك الرجل اللطيف الذي تتصورين».

انتظرت وهي تأمل أن يقول المزيد، لكنه أغلق فمه بإحكام كأنه مطار في عاصفة ثلجية عنيفة. إذا كان يتوقع ألاّ يتكلما عمّا حدث الليلة، فقد اصطحب معه المرأة غير المناسبة إلى لندن.

- جاك، كلنا لدينا أخطاء. لكنك اتقنت ارتكاب الأخطاء حتى أصبحت تجيد تماماً ما تفعله.

- وما هدفك من ذلك كله؟

توقفت لحظة، وانتظرته إلى أن نظر إليها، وأجابت: «لا شك في أن والدك ليس كامل الصفات، لكنه يحبك».

أصبحت نظرته قاتمة أكثر ومضت عيناه الزرقاوان بشيء خطر.

- هل استنتجت ذلك من الملاحظة؟
- لا . استنتجته حين قال لك إنه مضى وقت طويل .
هزّ جاك رأسه قائلاً : «أنا لم أتابع كلامه بانتباه» .
- هذا يعني أنه افتقدك .
انحنى إلى الأمام متسائلاً : «آه! أحقاً؟» .
- أجل، حقاً . وعندما قال إنك قمت بعمل جيّد، هذا يعني أنه فخور بك .
- لم تكن لدي فكرة أنك موهوبة بالقراءة ما بين السطور .
وضعت الشوكة في صحنها الفارغ وقالت : «من السهل قراءة ما بين السطور إذا كان الشخص غير متأثر عاطفياً» .
- وهل تعتقدين أنني كذلك؟
- آه! من فضلك .
قلّبت عينيها مضيفة : «إنه والدك . أنت تحبّه وهو يحبك» .
- وكيف تعرفين ذلك أنت؟
- عندما أعلنت على نحو مفاجىء أنه حان الوقت لنذهب، حاول إقناعك بتغيير رأيك .
- وما ترجمة ذلك؟
- أحبك، افتقدتك، لست مستعداً لأن أراك تغادر بهذه السرعة .
ضحك جاك لكلامها، لكن صوته بدا ساخراً وأجش . علّق على كلامها قائلاً : «لا تظني أنني أؤمن بهذه الفكرة المجنونة، لكن كيف عرفت هذا؟» .
دفعت بصحنها جانباً بحيية : «تعوّد والدي أن يقول لي بأنني أبدو مثل الظهير الربعي في فريق كرة القدم الجامعي، وأنا وجدت ذلك مهيناً بعض الشيء، بما أنني أفتخر بنفسي لكوني أنثى» .
- وأنت على حق في ذلك!
عادت تلك الومضة إلى عينيه ثانية حين سمح لنظره بأن يجول بجرأة عليها . مجاملته لها بالإضافة إلى نظراته أرسلت حرارة دافئة إلى قلبها . تمنت

لو أنها تستطيع إلقاء اللوم على حديثهما السابق في هذا الشعور، لكن ذلك لم يكن صحيحاً . فإحساسها بوجوده بدا أكبر بكثير مما هو في العادة . ذلك الاهتمام الذي انصب عليها بعث في نفسها شعوراً ممتعاً، لكنه مرعب .
- عندما شكوته لأمي شرحت لي أنه بذلك يعبّر عن استحسانه . إنه في الحقيقة يقول إنني أنيقة وإن جسمي متناسق تماماً كالرياضيين .
أخفض جاك نظره لجزء من الثانية قائلاً : «أنا أوافقه الرأي تماماً» .
بدا لطفه أكثر من مرعب . جعلها ذلك ترغب بالهروب إلى أبعد نقطة ممكنة، لكنها لن تقوم بذلك لأنها ستشعر بالمذلة وسيفوز جاك عليها . أجبرت نفسها على عدم النظر بعيداً حين شرحت قائلة : «منذ ذلك الوقت بدأت أترجم كلام الرجال» .
- شيء ساحر!
- أنا مقتنعة أن والدك يحاول التأثير فيك . . .
- لا أريد التحدث في هذا الموضوع .
وقف فجأة مقاطعاً كلامها، وتابع : «هل تركت متسعاً للحلوى؟ طلبت منهم أن يقوموا بتحضيرها خصيصاً لنا، لنتناولها في زاوية غرفة الجلوس» .
أخذ قطعة من الحلوى على صحن، ومشى متجهاً إلى الأريكة . وبهذه الطريقة انتهى الحديث .
- حسناً!
أخذت مادي القطعة الأخرى من الحلوى وتبعته . الجناح الذي ينزلان فيه مزيّن بألوان تشبه ألوان النقود . سجادة ذات وبر كثيف من اللون الأخضر المائل إلى الزرقة، تلطف حركة قدميها الحافيتين، وأثاث مغطى تماماً بقماش فاخر بدرجات مختلفة من اللون الأخضر، وقد رُتّب بشكل زاوية بجانب أحد الجدران . كأنه وضع خصيصاً لتوفير جو مناسب لإجراء حديث طويل . جلست مادي على الأريكة بشكل زاوية قائمة معه، وركزت على تناول الحلوى .
- إنها لذيذة حقاً، فهي شهية كالحلوى التي تحضّرها شقيقتي سوزي .

إنني أحبّ الكريما المخفوقة جداً.

قالت مادي ذلك وأغمضت عينيها. مرّت في خاطرها ذكريات لعطلة مضت، فبدأت تضحك.

- ماذا هناك؟

وضع جاك الحلوى التي لم يمسّها بعد على الطاولة، ثم اتكأ بذراعه على مسند الأريكة.

- تذكرت يوم أمسكتنا أمي ونحن نلعق الكريما المخفوقة مباشرة من العلبة إلى فمنا.

- لا بد أنك نلت عقاباً تستحقينه.

آه! هذا الرجل المزعج يشبه جاك الذي تعرفه في نيويورك أكثر.

وضعت صحنها على الطاولة، كوّرت جسمها باسترخاء على الأريكة المزدوجة قائلة: «يبدو الأمر مضحكاً الآن، لكن أمي لم تجده كذلك يومها».

أسندت ذقنها إلى راحة يدها حين نظرت إليه قائلة: «هل تذكر ما هي أفضل هدية عيد ميلاد تلقيتها؟».

ابتسم جاك ابتسامة عريضة وأجابها: «دراجة. أذكر أنها كانت الأفضل في المجموعة. كنت أتوق للحصول عليها منذ أشهر. قطعت صورة لها من صفحة الإعلانات في إحدى المجلات، وعلقتها في غرفتي. ماذا عنك؟».

- بيت للدمية مع أثاثه.

تنهدت متابعة: «إنه...».

- ماذا؟

- ستعتقد أنها سخافة.

- لا، لن أعتقد ذلك.

أعلن جاك متابعاً: «أعطني فرصة لأثبت براءتي قبل أن تجعليني مذنباً».

وافقته قائلة: «أنت محق. حسناً! حصل ذلك في فترة الضياع».

- عذراً... لم أفهم.

- إنه ذاك الوقت الذي تؤمن فيه ببابا نويل وتشك في حقيقة وجوده معاً.

أردت أن أؤمن بوجوده لكنني سمعت الإشاعات البشعة التي تقول إنه غير حقيقي.

- الإشاعات تنتشر بسهولة.

- كما حصل معك بالنسبة للدراجة، أردت الحصول على بيت الدمية بشدة. كان ذلك كل ما أفكّر فيه. لكنني عرفت أن والديّ لا يستطيعان شراءه. في تلك السنة، وضعت شقيقتي مقوماً لأسنانها، وكنا بحاجة إلى سيارة جديدة. وهناك ضائقة مالية.

تساءلت مادي لماذا تفشي ما في داخلها؟ هذا ليس ما تفعله عادة عندما تتحدث هي وجاك، لكنها بدأت ذلك الآن، فأردفت: «بأي حال، قررت أن أرى بابا نويل مع شقيقي الأصغر، دان».

- وهل كان دان يؤمن به؟

- أجل. لكنه كان يخاف من اللحية والبذلة. جلست في حجر بابا نويل لملاطفته كي يدنو منه، لأن أمي أرادت التقاط صورة لنا.

خمّن جاك بسرعة: «وأنتِ أخبرت بابا نويل بما تريدين!».

- في الواقع، همست بذلك في أذنه.

هزت كتفيها وراحت تعبث بخصلة من شعرها بخجل مضيفة: «إنه أمر سخيف بضع الشيء. أليس كذلك؟».

اقترب جاك منها، ووضع يده على يدها قائلاً: «بالعكس...».

بدت لمسته دافئة، قوية، حلوة، بل إنها كادت توقف نبضات قلبها. أهو تأثير الرحلة الطويلة إلى إنكلترا، أم مشاركة الجناح مع جاك؟ بدا الإحساس بيده على يدها مثل وخز شديد في داخلها. احتاجت مادي إلى أخذ نفسين عميقين ليتحرّك وعيها من جديد ويعود إلى طبيعته. لم يحدث لها ذلك أبداً من قبل.

- هل حصلت عليه؟

سألته: «ماذا؟».

- بيت الدمية.

- آه! لا. بأية حال...

حرّرت يدها من تحت يده متابعة: «... أخبرني عن دراجتك».

قال يغيظها: «كان لونها أزرق. ولم تأتِ من بابا نويل».

- أنت تعتقد أنني كنت ساذجة، أليس كذلك؟ إنه أمر محزن أن تضطر إلى التصرف كالراشدين، وأنت ما تزال طفلاً.

- أجل، إنه كذلك.

نظر إليها، وقد ظهر تعبير غريب على وجهه، ثم قال: «ماذا ستطلبين من بابا نويل هدية لهذه السنة؟».

قالت مادي: «فلورنسا».

- من؟

- ليس من...

ضحكت متابعة: «إيطاليا. أرغب دائماً في الذهاب إلى هناك».

هزت كتفيها وأردفت: «لست أدري لماذا. لقد رأيت صوراً لفلورنسا، ولدي شعور بأنها أحد تلك الأماكن التي يجدر بالمرء زيارتها».

- من يدري؟ ربما بابا نويل سيحقق ذلك.

- ربما!

حين ابتسم، عاودها ذلك الشعور المرعب الممتع مع وخزة أو اثنتين. حان الوقت لتقول له تصبح على خير، قبل أن تقول شيئاً آخر تندم عليه.

- أنا متعبة. لا بد أن الجلوس في الطائرة لساعات جعلني أشعر بالإرهاق. أعتقد أن الرحلة أزعجتني.

اختفت نظرة التسلية من عينيه، وظهرت مكانها نظرة توحي بالندم، فقال: «أنا آسف مادي. لم يكن عليّ إجبارك على السفر في عيد الميلاد. لا بد أنه كانت لديك مشاريع مع شخص مميز».

- أجل!

هذه نوعاً ما ليست كذبة، فأصدقاؤها مميزون. تابعت قائلة: «لكن لا بأس. في الحقيقة، إنها عطلة لطيفة رغم كل شيء».

عادت إلى عينيه نظرة الاكتئاب، وكأنه يتذكر أشباح الميلاد الماضي. في الواقع، عليها أن تعترف أنها لم تر في حياتها رجلاً بحاجة إلى عناق أكثر من هذا الرجل الذي تراه أمامها.

وقف جاك ومدّ يده إليها، وعندما أمسكت بها، شدّها بقوة لتقف على قدميها. وما لبثت أن وجدت نفسها بين ذراعيه. كانا يقفان قريبين جداً من بعضهما، وشعرت مادي بإحساس غريب. لربما أمكنها أن تكون قادرة على المقاومة لو أنه لم يبدُ وحيداً ومستوحشاً. لكنها لم تستطع تمالك نفسها. وضعت ذراعيها حول عنقه قائلة: «ما تفكر به ليس مهماً. بدت عائلتك مسرورة لرؤيتك».

- سوف أصدقك في ذلك.

نظرت إليه فلاحظت أن عينيه تتوهجان ببريق قوي، فيما جال جاك بنظره على وجهها. أتراه سيعانقها؟

حبست أنفاسها فجأة.. تاقت إلى الشعور بذراعيه حولها أكثر مما تاقت إلى أي شيء آخر... حتى بيت الدمية. لكنها لا تجرؤ على العبث مع جاك.

نظر إليها للحظة طويلة، قبل أن يخفض رأسه ويعانقها.. عناقه اللطيف جعل أنفاسها تعلق في حنجرتها وكيانها يضطرب بسبب ضربات قلبها المتسارعة. شدّ جاك ذراعيه حولها، وقربها منه محدثاً شرراً في داخلها. أطلقت مادي أنيناً خفيفاً من حنجرتها، أنيناً ينذر بالخطر الذي شعرت به في داخلها. إنه مكان لم تكن فيه من قبل، وهي لا تريد أن تغادره. لكن هذا جاك.. رئيسها.

لم تعرف مطلقاً كيف تدبرت أمر إيجاد قوة الإرادة والعزيمة لتبعد نفسها من بين ذراعيه قائلة: «حان الوقت لتأوي إلى الفراش».

ذاك الصوت اللاهث الضعيف لا يمكن أن يكون صوتها حقاً.

مرر جاك أصابعه خلال شعره قائلاً: «ميلاد مجيد، مادي».

- ميلاد مجيد، جاك.

أسرعت إلى غرفتها وأغلقت الباب، فيما راح قلبها يضرب بعنف كأن

www.elromancia.com

عفريتاً يلحق بها. عفريت في هيئة جاك ثالثتين! لقد رأت الليلة ذلك الجانب الغامض فيه. جانب لم تعرف أنه موجود أصلاً. إنه بحر دون قرار، وقد كان من الأفضل لها عدم اكتشافه لأنها غرقت فيه. هذا الجانب الغامض هو الذي جعلها تستسلم لعناقه.

اتكأت مادي على الباب وضغطت بأصابعها على وجهها. ليت ذلك العناق لم يكن جيداً! لكنه في الواقع أفضل عناق حصلت عليه يوماً.

الآن كل ما تأمله هو ألاّ يتكرر ذلك لأنها لن تستطيع مقاومة سحر رئيسها وفتنته.

٣ - لن أرحل!

كل ما ترغب به مادي هو النوم دون أحلام مزعجة، ثم الاستيقاظ لتجد أن جاك عاد إلى سابق عهده. لم ترَه هكذا حتى الآن، ويمكنها قول الشيء نفسه في ما يتعلق بذلك العناق. لماذا فعل ذلك الآن بعد سنتين من عملهما معاً؟ وماذا تراه يعني بذلك؟ على الأرجح لا شيء، نظراً لكثرة أعداد النساء اللواتي مررن في حياته. لكن مادي تريد أن تفهم ما يحصل معهما. لطالما ضايقها جاك بتعليقاته حول الرجال الذين تواعدهم، لكن بالطبع، لن يخطر بباله مطلقاً أنها ما زالت عذراء.

إن حذرها من العلاقات العاطفية يعود إلى رأيها السيء بالرجال. وقعت ذات مرة في الحب، لكن الشاب الذي وقعت في حبه كان شخصاً سيئاً. كانت مستعدة لأن تمنحه كل ما في قلبها من عاطفة وحنان، لكنها اكتشفت في الوقت المناسب أنه راهن مع أصدقائه بأنه يستطيع مرافقتها إلى السرير. وهو بالطبع خسر رهانه.

باتت الآن تميل إلى هؤلاء الرجال الذين لا تظهر عليهم علامات واضحة بأنهم شبان سيئون، فلا يضعون أقراطاً، وليس لديهم وشم أو شعر طويل. المشكلة هي أنها لم تشعر بالانجذاب يوماً إلى أي من الرجال الذين واعدتهم، كما حصل معها الليلة الماضية.

في الحقيقة، جاك لم يحاول إغواءها من قبل، وهي لن تسمح لعناق تافه بأن يغيّر أي شيء بينهما. من جهة أخرى، إنها تعرف جيداً أن جاك لا يريد علاقة دائمة مع أي امرأة.

نظرت إلى المرآة الكبيرة المعلقة على باب الخزانة لتتحقق من مظهرها، ثم

www.elromancia.com

جمعت ملاحظاتها عن منضدة الزينة بالإضافة إلى هدية جاك. نسيت تقديمها له البارحة، لذا أمسكت بها أيضاً. وقفت في مواجهة الباب الذي يفصل بين غرفتها وغرفة الجلوس المشتركة. حاولت إقناع نفسها بأن هذا لا يختلف عن الذهاب يومياً إلى المكتب في مانهاتن. لكن هي نفسها لم تقتنع بالكذبة لأنها قرعت الباب مرّة. إنها لا تقرع الباب أبداً عندما تدخل إلى مكتبها.

– هل أنت جاهز أم لا؟ لقد أتيت.

– أنا جاهز.

كان جاك جالساً على الأريكة حيث كان يجلس البارحة، وقد وضع جهاز الكمبيوتر الخاص به على الطاولة. في غرفة الطعام رأت مادي فطوراً مجهزاً من البيض باللحم والمعجنات، بالإضافة إلى الكعك المحلى والفواكه.

قالت وهي تنظر إلى الطعام المعدّ على الطاولة: «هذا لطف منك، جاك».

– أنا رجل لطيف.

إنه مثل والده، لكنه لا يرغب في سماع ذلك. ها قد رجع مثل جاك السابق. ما من حاجة لإظهار الجانب الخطر فيه، ذلك الجانب الذي يثير فيها المشاعر المضطربة. وضعت ملاحظاتها وهدية جاك على الطاولة. وسكبت في صحنها قليلاً من البيض باللحم، مع كعكة محلاّة وفاكهة، وحملت فنجان القهوة.

عادت إلى زاوية غرفة الجلوس. أخذت المكان نفسه الذي شغلته في الليلة السابقة، ووضعت الصحن على حجرها وفنجان القهوة على الطاولة.

حملت الهدية وقدّمتها إلى جاك قائلة: «تفضّل. كانت في حقيبتي. لم تسنح لي الفرصة لأقدمها لك الليلة الماضية».

تردد في أخذها قائلاً: «مادي، أنا... أنت ليس عليك...».

– نحن دائماً نتبادل الهدايا.

أخذت قضمة من الكعكة، ثم قليلاً من البيض.

– الأمر هو... أنا...

– تركتَ بطاقة الائتمان في نيويورك. لذا لن أحصل على هدية أليس كذلك؟

اعترف قائلاً: «حسناً! أجل. ليس لدي أيّ شيء لك لتفتحيه».

– لا بأس. لقد أحضرتني إلى لندن.

– تحت الإكراه.

قالت مادي: «بشأن ذلك...».

ضيّق نظره بشك وارتياب قائلاً: «ماذا؟».

– ربما بالغت قليلاً بشأن مشاريعي مع ذلك الشخص المميز.

ارتفع أحد حاجبيه القاتمين متسائلاً: «ومع ذلك، أنت ما زلت منزعجة».

– عدا الانتحاب، ما الذي ينبئك بذلك؟

حمل العلبة المغلفة ببساطة، وهزّها بلطف أثناء تأمله للغلاف قائلاً: «ليس عصا مغمسة بالسكر، أو رجل الثلج... ليس بابا نويل صغير أو غزلان... والغلاف غير لامع».

ها هو جاك فالنتين آخر ينكشف أمامها. لقد تذكّر كيف تغلّف هدايا عيد الميلاد. كم هذا محبّب! هي لم تتصور أبداً أنه من النوع المحبب. إنها معلومة لا تساعدها على التخلص من مشاعرها الناشئة والمزعجة. لقد اعتذر لأنه أفسد مشاريعها، لذا فإن أقل ما يمكنها القيام به هو أن تكون لطيفة.

– أنا منزعجة من التوقيت، جاك. لأنك تعتقد أن بإمكانك القول اقفزي وكل ما عليّ قوله هو السؤال كم يبلغ الارتفاع. لكنني تخطيت الأمر الآن. أنا أعني ذلك بصدق. والآن افتح هديتك.

مزّق جاك الورقة ودفع غطاء العلبة برفق، ثم أخرج محفظة جلدية طرية طولها أحد عشر سنتيمتراً وعرضها ثمانية سنتيمترات مع الأحرف الأولى من اسمه منقوشة في أسفل الزاوية لجهة اليمين. ارتفع نظره إليها فجأة قائلاً: «إنها جميلة جداً، مادي».

www.elromancia.com

– هي شخصية أيضاً، لذا لا يمكنك إعادتها.

أشارت مادي إلى ذلك وأنهت الفواكه في صحنها.

– لا أستطيع أن أحلم بها حتى.

بدا مرتبكاً وخجولاً لكنه مع ذلك ساحراً. تابع قائلاً: «هذا يجعلني أشعر بالسوء لأنني لم أقدّم لك هدية. سأعوّض لكِ عن ذلك».

– هذا ليس ضرورياً. أنت أهديتني رحلة إلى لندن.

– شكراً لك على الهدية.

قال ذلك، ثم وضع المحفظة على الطاولة بجانب جهاز الكمبيوتر الخاص به، متابعاً: «إذاً، لنبدأ العمل. العمل السابق أولاً».

– حسناً.

وضعت صحنها الفارغ جانباً، ثم أخذت رشفة من القهوة الفاترة قبل أن تعطيه ملف شركة برامج العقل الإلكتروني التي يقومون بدعمها.

– وقعوا صفقة لحيازة مساحة رف في أحد أكبر محلات التجهيزات المكتبية في المدينة.

تفحص الملاحظات بدقة، ثم راقب النشرة من بدايتها إلى نهايتها. وقال بعد ذلك: «ممتازا مبيعات شبكة الاتصالات العالمية جيّدة، أيضاً».

– نعم هذا ما لاحظته.

تفحّص الملف بدقة، ورأى أن النتائج كلها إيجابية.

– عمل جيّد، مادي.

وضع الملف على الطاولة وتابع: «ماذا لديك أيضاً؟».

– لدينا عشرون عرضاً. وأنا اخترت منها خمسة لتقييم عرض البيع. وها هي أفضل ثلاثة عروض هنا، لتدقق فيها.

أخذ الملف الأول الذي سلّمته إياه وقرأ باهتمام: «حلول لمشاكل الأمهات».

– أودّ إنشاء شركة لتسويق الأفكار المبتكرة من قبل أمهات تمكنّ من حل مشكلات أولادهن.

التقى نظره بنظرها لكنها لم تستطع قراءة التعبير في عينيه وقال: «أمهات ابتكرن حلولاً للمشكلات؟!».

– تبدو متفاجئاً بالفكرة.

لم يجبها جاك سوى بهز كتفيه فقط. عادت إلى وجهه نظرة الاكتئاب الآن، وقررت مادي ألاّ تسأله أسئلة إضافية، فمن السخافة أن يخيب أملها لأنه لا يريد التوسع في الإجابة. معرفة المزيد عنه بالأمس جعلتها تبادله العناق عندما عانقها، لذا من الأفضل عدم معرفة المزيد. هي تريد التركيز على العمل، ونسيان الرجل الخطير الذي لمحته الليلة الماضية.

تنحنحت قائلة: «كما ستقرأ في ملاحظاتي، المواضيع تتراوح بين أشرطة مسجلة مخصصة لتسلية الأطفال الصغار، إلى ابتكار حيلة تمنع الأطفال الذين يشعرون بالضجر من نشر لفّة ورق المرحاض، وغيرها من الأفكار التي تجعل حياة الأمهات أكثر سهولة».

– هل تعتبر هذه الأمور مشاكل؟

أوضحت قائلة: «نعم، بالنسبة إلى المرأة العادية».

– ماذا عن النساء غير العاديات؟

قال ذلك وهو ما زال يتفحص تقريرها. لكنها لاحظت انقباض عضلة في فكّه.

هل يعني النساء المتفوقات أم اللواتي هن أقل من المستوى العادي؟ عبوسه جعلها تتساءل ثانية عمّا يفكر فيه. أتراه يفكر بوالدته؟

ذكرت نفسها للمرة الثانية أن هذا عمل وليس أمراً شخصياً. حتى الآن، تركزت أعمالهما بشدة على السوق التكنولوجي، وهذه زاوية لم يصلا إليها حتى الآن. التنويع في العمل أمر جيد، ومن الحكمة عدم المغامرة بتوظيف الأموال في شركة واحدة. أما في الحب، فهي لا تريد التنويع وجاك خبير في هذا الموضوع.

– بدلاً من توظيف الأموال في مجال واحد...

توقفت قليلاً لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت: «... خطر في بالي أن اهتمام

www.elromancia.com

شركة واحدة بمجموعة من المواضيع الاستثنائية التي توجّه الأعمال الروتينية، وتقدم حلولاً للقضايا المزعجة في ما يتعلق بالأمومة ستكون فكرة جديدة مبتكرة».

ردّ قائلاً: «أنا موافق، ابدأوا بتنفيذ المشروع».

- حسناً!

وضعت بعض الملاحظات لنفسها قبل أن تسلمه ملفاً آخر قائلة: «أعتقد أن هذا المشروع سيروق لحماسك الداخلي للتكنولوجيا».

- سنتزال للهاتف النقال!

أومأ برأسه حين تفحص الملف بدقة.

- إنها فكرة تضيف وظائف أكثر لجهاز يحمله معظم الناس الآن. طلبت من خبير الأجهزة عندنا تحليلها وقال إنها تبدو مبشّرة بالنجاح.

أومأ جاك برأسه، ووضع ملاحظات على الملف الجديد الذي سلّمته إيّاه قائلاً: «حسناً! ما دمت تعتبرينه جيداً».

هذا ما قدّرت أنه سيقوله. إنه يوافق على أفكارها بنسبة تسع من عشر مرات، وهذا يسعدها. سلمته الملف الأخير من مجموعة الملفات التي اختارتها. هذا مجال آخر لم تصل إليه بعد مغامرات ثالثتين.

التقت مادي بالمقاول الشاب المتحمس وتأثرت بحماسه المتقد، فأكدت له أن موافقة جاك للانطلاق بالمشروع هي في متناول اليد.

- هذا عرض لإنشاء مطعم...

عبس مرة ثانية قائلاً: «لا».

جاك ثالثتين ليس رجلاً عبوساً في العادة. مرّتان في اجتماع واحد...! لم يحدث ذلك من قبل أبداً. كيف يمكنها ألا تسعى إلى معرفة المزيد عنه إذا ما استمرّ في ذلك؟ أولاً الأمهات، والآن المطاعم قد مسّت أعصابه. مع أنها لا تستطيع رؤية أي رابط منطقي بين الأمرين، لكن هذا جعلها ترغب في معرفة المزيد.

- أنا أدرك أن المطاعم مشاريع غير مضمونة. لكن، انظر إلى الموقع. إنه

في وسط مدينة نيويورك، إيجاره مقبول جداً والفكرة جديدة ومبتكرة. مع قليل من الدعم والمساندة يمكنه أن يغدو ملتقى ممتازاً لعازبي مانهاتن الذين ينشدون مكاناً مميزاً.

هزّ رأسه قائلاً: «لا أريد أي شيء له علاقة بالمطاعم».

- لماذا؟

انقبضت تلك العضلة في فكّه وقال: «لا أعرف أي شيء عن ذلك».

نبرة صوته لفتت انتباهها. لقد سمعت تلك الحدة الاستثنائية في صوته مرة واحدة فقط من قبل، البارحة حين واجه والده.

- أنت لا تعرف شيئاً عن صيانة لفة ورق المرحاض أيضاً. هذا عملي، وأنا أؤمن بقوة بهذا المشروع، جاك.

جلست بشكل مستقيم أكثر متابعة: «سأساعدك في ذلك وآخذه على عاتقي. أنا وعدت الرجل تقريباً».

- هذا المشروع لا يلائمك أنت أيضاً.

نظر إليها وكأنه يأخذ قياسها للحظة طويلة وقال: «أظن أن عليك إيجاد طريقة لإلغاء ذلك الوعد».

عملا معاً لمدة سنتين، وكانا خلالها منسجمين في الأفكار تماماً. أحبّت مادي مساعدته بأخذ القرار بشأن المشاريع التي ينفق عليها ملايينه. تعودت أن يأخذ جاك بنصيحتها، وتفاجأت إلى حد يقارب الإحساس بجرح المشاعر بقوله لا بهذه الطريقة الاستبدادية. لكن رفضه هذا لا علاقة له بالتخطيط المهني. شيء ما في داخلها يقول لها إن سلبيته إزاء هذا العرض تحديداً سببها أمر شخصيّ بعمق.

- ليس من عادتك الرفض دون إعطاء سبب جيّد. هل ترغب في تنويري؟

- في الواقع كلا... لا!

- إذاً، أنا لا أفهم.

قالت مادي ذلك وهي غير راغبة بأن تقبل رفضه بدون اعتراض،

www.elromancia.com

فأكملت: «هذا المشروع يملك الإمكانية بأن يكبر ويتوسع، وبأن يكون له امتياز في شيكاغو ولوس أنجلس. سوف يرتاده الكثيرون من الشبان الذين يواعدون النساء بصورة مستمرة مثلك...».

هذا غير ضروري! لا يحق لها أن تحكم. أنّبت نفسها في سرها. لم تره أبداً كما بدا الليلة الماضية في المطعم، إذ بسبب ذلك لم تتمالك نفسها من التساؤل إن كانت لديه أسباب مضمرة لهذا الرفض. لكن اكتشافها أن جاك ليس سطحياً كما كانت تظن، هو أمر له مخاطره.

- أنا آسفة، جاك!

تقوست زاوية فمه قائلاً: «انسي الأمر. ما نتج لدينا هنا هو اختلاف في وجهتي نظرنا، وحسب خبرتي، إن أفضل طريقة للتعامل مع ذلك هو التفكير بدبلوماسية.

فسألته مادي: «عرّف كلمة دبلوماسية».

- لنوقف مناقشة هذا العرض حتى نعود إلى نيويورك.

- حسناً! هذا مناسب إلى حدٍّ مقبول.

- سنغادر هذا المساء.

نظرت إليه فجأة قائلة: «ماذا عن العمل الذي تقوم به هنا في لندن؟».

ردّ عليها بشكل غامض قائلاً: «لدينا اجتماع في وقت لاحق اليوم، بعدئذٍ سنعود إلى نيويورك».

- أنتَ وعدتني بقضاء بضعة أيام هنا.

- آسف، عليّ العودة.

- يظهر بوضوح جداً أن عليّ تعلم درس حول عدم الوفاء بالوعد منك.

- هناك عمل بانتظاري.

- حسناً! فهمت.

إنها تخدع نفسها! في الواقع هي لم تفهم شيئاً. هذا الرجل لا يشبه أبداً جاك الجسور الطائش الذي تعرفه. هذا ليس الفتى الواثق من نفسه، الذي يتصبّب سحراً. هذا الرجل نفسه الذي وضعته في خانة الرجال الطائشين،

أتى إلى لندن ليقابل زوج شقيقته، والآن هو متلهّف للمغادرة. فما الذي يهرب منه؟

رفع نظره ليلتقي بنظرها، وبدا هناك ارتباك مع جرعة سخية من الاحتراس في عينيه وقال: «أبهذه السهولة؟».

- أنت الرئيس!

جمعت ملاحظاتها ونهضت للخروج من الغرفة قائلة: «سأعود في الوقت المحدّد للاجتماع».

- إلى أين تذهبين؟

رمقته بنظرة خاطفة من فوق كتفها لأنها لا تريد أن تفوّت رؤية ردّ فعله وقالت: «إلى الغداء في بيلا لوتشيا».

جلس جاك في سيارة الأجرة وبجانبه مادي. كان يفضل تناول الغداء معها في الفندق، فوجبة الليلة الماضية التي تميزت بأجوائها الحميمة بدت شيئاً غير متوقع. هو دائماً يستمتع بممازحتها، لكن هذه المرة كان هناك شيء ما مختلف... حميم... شيء يتعلق بمشاركته الذكريات جذبهما إلى بعضهما البعض أكثر. هي احتضنته. آه حباً بالله! وهو عانقها. في تلك اللحظة شعر بالانجذاب إليها. لكن مادي...

هما ما زالا الشخصين نفسيهما اللذين عملا معاً لأكثر من سنتين. أثناء ذلك الوقت كلّه، كان بإمكانه أن يثير مشاعرها، لكنه حريص على ألاّ يتجاوز الحدود ويغيّر العلاقة العملية الجيدة بينهما. الدقائق الخمس التي أمضاها مع والده أظهرت شيئاً ما فيه جعلها تتعاطف معه. لا يريد جاك المخاطرة بتكرار ذلك العناق وهذا هو السبب الذي جعله يفضّل تناول الغداء في أي مكان إلاّ بيلا لوتشيا.

قال لها: «من المحتمل ألاّ يفتح المطعم اليوم».

- ما الذي يمنعه من ذلك؟

- المؤسسات الحكومية ومراكز العمل الصغيرة مقفلة.

www.elromancia.com

على الأقل يمكنه أن يأمل ذلك. بعد إقامته في نيويورك طيلة هذه المدة، لم يعد يفكر في العطلة، قال متابعاً: «إنه يوم الإهداء».

توقفت مادي عن التحديق من نافذة السيارة، ونظرت من فوق كتفها إليه قائلة: «كما في مباراة الملاكمة؟ ممنوع الضرب بطريقة مخالفة لقواعد اللعبة وعلى كل لاعب أن يمضي إلى الزاوية المخصصة له. أليس كذلك؟».

- لا. كما في المطاعم، توزّع الملابس والهدايا للأقل حظاً في الحياة.

قالت مادي: «اعتقدت أن هذا يحصل في عيد الميلاد».

- وهو كذلك! اليوم هو امتداد للعطلة ويوم الإهداء يبقي روح العطاء يقظة ليوم آخر. لذا، هناك إمكانية بأن لا يكون المطعم مفتوحاً.

توقفت السيارة بجانب الرصيف أمام بيلا لوتشيا تماماً، وفي تلك اللحظة خرج أربعة أشخاص من الباب يحملون في أيديهم علب تحتوي على بقايا الطعام.

نظرت إليه مادي وقالت: «إمّا أن يكون المطعم غير مُقفل، أو أن هؤلاء الأشخاص هم من الأقل حظاً اللذين حصلوا على بعض الطعام الآن».

لم يعلق جاك على كلامها، بل رافقها إلى داخل المطعم حيث دعِيا للجلوس إلى طاولة مربعة مخصصة لشخصين.

إنه لا يريد أن يكون هنا، لكنه لا يريد أن تكون مادي لوحدها هنا أيضاً.

- إنه مكان لطيف!

صوت مادي قطع الذكريات المزعجة التي تهدّده. رفع نظره عن قائمة الطعام التي يتظاهر أنه يتمعّن في قراءتها.

- هذا صحيح!

اليوم لم يرَ أي شخص من أفراد عائلته حتى الآن، وذلك يلائمه جداً. هناك احتمال دائماً برؤية أحد أفراد ڤالنتين، لكنه يأمل بتجنبه. المطعم مشغول، ومزدحم. وهو ومادي جلسا في زاوية هادئة. تأملت مادي غطاء الطاولة الكتاني الأبيض فبدا لها مثالياً، وكذلك الأزهار والشموع الحمراء

التي وضعت في شمعدان بلوري. إنه مطعم رفيع المنزلة. مع أن جاك لم يتذوق الطعام حتى الآن، فإنه وجد جو المطعم مرضياً. شعر بالفضول لمعرفة سبب وقوع المطعم في مشاكل مالية. بدا نافد الصبر، فبدأ ينقر بأصابعه على غطاء الطاولة الأبيض النقيّ، وسرعان ما ظهر النادل حاملاً سلّة من الخبز المغلّف بقماش الكتان، وضعها على الطاولة قائلاً: «مساء الخير، سيدي، سيدتي. هل أنتما جاهزان للطلب؟».

بعد أن أخذ النادل طلبهما وذهب، قطعت مادي قطعة من الخبز الإيطالي فانبعث البخار منها حين وضعتها في صحنها. سألته: «أيزعجك شيء ما، جاك؟».

- بالطبع لا!

لم يغفل جاك عن فهم التعبير الذي ظهر على وجهها، والذي يقول إنها تنتظر منه شرحاً عمّا حدث الليلة الماضية. هو يعرف أنها فضولية، كما يعرف تعابير وجهها كلها، بما في ذلك التعبر الجديد الذي أخبره أنها تريد منه معانقتها الليلة الماضية. لهذا السبب قرر قطع الرحلة والعودة إلى العمل بسرعة. لقد وَفَى بوعده لشقيقته، وقريباً سيكونان هو ومادي في طريقهما إلى نيويورك.

- هذا شهي!

قالت مادي ذلك وهي تأخذ قضمة من الخبز. أغمضت عينيها وتحول التعبير الفضولي على وجهها إلى ابتهاج صرف.

بدت سيماء وجهها مثيرة بلا شك، وانطلقت المشاعر مباشرة في داخله، فومضت صورة في رأسه تمثله هو ومادي متعانقين. لم يستطع جاك أن يفهم لماذا أصبحت رائحة عطرها فجأة... قوية جداً. هذا سبب آخر يجعله نافد الصبر للخروج من هنا بسرعة.

ما يفترض أن يكون رحلة سريعة ليصفّي ضميره، تحوّل إلى رحلة معقدة. رؤية إيما وماكس ولّدت فيه مشاعر معقدة. والآن مشاعره نحو مادي تحولت إلى مشكلة معقدة، وجاك يكره التعقيد.

www.elromancia.com

تحليله للأمور لم يساعده في تهدئة أعصابه، فانفجر قائلاً: «في الحقيقة، نعم هناك ما يزعجني».

- آه! تكلم من غير تردد.

مسحت فتات الخبز عن شفتيها بواسطة المنديل الكتاني وانتظرت كلامه بترقب.

قال جاك محاولاً إبعاد نظره عن فمها: «أعترض على تشبيهك لي بوالدي في ما يتعلق بمواعدة النساء بصورة مستمرة».

قالت بهدوء: «حسناً!»

نبرة صوتها أنبأته أنها تسايره، أما هي فأكملت: «أعتقد أننا تكلمنا عن هذا الأمر. في بعض الأحيان، تلك المصفاة ما بين دماغي وفمي لا تعمل بصورة جيدة. إنه أحد عيوبي وأنا أعمل عليه. لن يحدث الأمر ثانية».

- بل سيحدث. لأنك لا تستطيعين تمالك نفسك.

- أعدك بأن أحاول.

- إذا كنت تعتقدين ذلك، فلا بأس.

هو لا يريدها أن تكفّ عن ذلك حقاً، لأن للمسألة وجهان: إيجابي وسلبي. فمن جهة هي تعبر عن ملاحظاتها بصراحة، لكنها من جهة أخرى لا تعرف والده كما يعرفه هو.

لقد رأى خيبة الأمل في عينيها عندما سألته لماذا يعامل النساء بهذه الطريقة. لم يعجبه أن يخيب أمل مادي به، وذلك لأسباب عدة لا يمكنه شرحها.

أشاحت بنظرها عنه وتبعت صورة نحيلة تمشي نحو المخرج فقالت: «أليست تلك شقيقتك؟».

قبل أن يتمكن من الإجابة، صرخت: «إيما!».

أين هي تلك المصفاة عندما يريدها حقاً؟ فكر جاك بذلك حين استدارت شقيقته، ونظرت إليهما، ثم مشت نحوهما.

- مرحباً! أنتما هنا؟

ابتسمت إيما لمادي، لكن النظرة التي منحتها لجاك بدت حذرة. سألتها مادي: «ماذا تفعلين هنا؟».

- جئت فقط لرؤية بعض الأصدقاء القدامى. إنهم يريدون سماع كل التفاصيل عن تتويج سباستيان، وتتويجي كملكة وعن كيفية لقائنا وغير ذلك...

ردّت مادي: «هذا رومنسي جداً».

- جداً!

كرر جاك بسخرية. ها قد بدأت المرأتان تثرثران بشأن التاج، وكل ما يمكنه فعله هو التساؤل ماذا يمكن أن يحصل بعد ذلك. لكن يجب أن تكون شقيقته مميزة جداً لتحظى بمثل هذا الشرف ذي الأهمية العالية. أزعجه ذلك الشعور بالإثم والذنب بسبب أفكاره.

هو رجل قوي يمكنه أن يقوم بأعمال كثيرة ويؤثر على عمل الآخرين أيضاً، لكنه لا يعرف كل ما يجب على الشقيق أن يعرفه عن شقيقته. الفكرة بحد ذاتها عكّرت مزاجه، فسألها: «إذاً، أين الملك؟».

- إنه ينتظرني في فندقنا.

فرد قائلاً: «لا تدعينا نؤخرك».

- جاك!

بدت مادي متفاجئة، قبل أن تحملق به غاضبة وتتابع داعية إيما إلى الجلوس وهي تشير إلى الكرسي على يسارها قائلة: «اجلسي، إيما».

جلست إيما وتحسرت قائلة: «سأشتاق إلى العمل مع ماكس».

نظرت إليها مادي وقد بدت مرتبكة. سألت إيما: «هل ماكس طاهٍ، أيضاً؟».

- إنه يدير بيلا لوتشيا تشيلي، مع والدي. هو... أعني ماكس نصحني بعيش حياتي الخاصة وعدم القلق على الأعمال هنا، لكنني أشعر بأنني سأسبب له بذلك صداعاً جديداً سيضطر للتعامل معه. إنه شديد الإدمان على العمل.

عرف جاك أنها ببساطة تتشارك المعلومات مع مادي، كما تفعل النساء عادة، تماماً كما تشاركت معها قصة التاج. لكنه أحسّ أن كلماتها تخدش شيئاً ما مدفوناً في مكان عميق بداخله، وهو لا يريد الذهاب إلى ذلك المكان، فردّ قائلاً: «طبيعته العملية يجب أن تسرّ والدك».

ردّت إيما بالمثل قائلة: «إنه والدك أيضاً، كما أن ماكس يأخذ العمل بجدية كبيرة».

سألتها مادي: «إذاً، هل تملك العائلة هذا المطعم؟».

- ألم يخبرك جاك بذلك؟

نظرت إليه إيما نظرة خاطفة وتابعت: «تملك العائلة ثلاثة مطاعم، لكن بيلا لوتشيا تشيلي هو النجمة الأكثر تألقاً بينها».

- فهمت!

حين نظرت مادي إلى جاك، حملت نظرتها المحدّقة اللوم ممزوجاً مع جرعة من الشعور بالأذى. بدا الأمر كما لو أنه رفس هريرة، ولم تعجبه تلك النظرة.

سألت مادي: «لِمَ عليكِ أن تقلقي بشأن العمل هنا؟».

ظهر التردد على وَجه إيما. نظرت إلى مادي، ثم إلى جاك. يعرف جاك أن شقيقته متحفظة أمام الغرباء الذين لا ينتمون إلى العائلة، لكن ما من أحد جدير بالثقة أكثر من مادي. كان بإمكانه أن يغيّر مسار الحديث، لكنه أراد معرفة السبب الذي أدّى بالعمل المزدهر الذي يتذكره إلى التعثر.

- ماذا يجري، إيما؟

أومأت برأسها، مدركة أنه يعطيها الموافقة بمناقشة الأمر، فقالت: «هناك مشكلة في الحسابات. لاختصار قصة طويلة، هناك اختلاس في المال، والمطعم على طريق الإفلاس تقريباً، لن نستطيع الاستمرار بالعمل إن لم يضخ فيه رأس مال جديد».

- هذا ما يسمى تحديداً بزمن الضيق.

قالت مادي متابعة: «ماذا ستفعلون؟».

ردّت إيما: «السؤال هو: ماذا سيفعل جاك».

ثم أضافت: «لم أرغب في التطرق إلى أمور غير سارة الليلة الماضية، لكن علينا التحدث في ذلك».

قال جاك: «أنا سأعود إلى نيويورك الليلة».

شدّت إيما فمها بإحكام قائلة: «إذاً، ألا تهتم بأن عملاً بدأ من حبّ جدّنا لعروسه، وتغذّى بدم وعرق ودموع جيلين آخرين من آل فالنتين سيتوقف؟».

- بكلمة واحدة: لا!

هزت إيما رأسها قائلة: «جاك الذي أتذكره لم يكن عديم الإحساس هكذا، ولطالما حرص على أن يبرهن أن مستقبل المطعم سيبقى مزدهراً».

- لأمكنك قول هذا كله عبر الهاتف، إيما.

- أعرف ذلك. لكنني أردتك أن تنظر مباشرة في عيني.

تحرّك الغضب في داخله فردّ قائلاً: «إذاً، تلك الحجة حول رغبتك في أن ألتقي بزوجكِ الجديد ليست أكثر من مناورة؟».

- سمّها ما شئت.

- هكذا هي المسألة إذاً، هذه العائلة لا تحتاجني لأن أكفلها. لديها الآن ملكة ميريديا.

أصبحت نظرات إيما أكثر صلابة حين قالت: «هناك مغالطات كثيرة في تلك الجملة. أنا حتى لا أعرف من أين أبدأ. يكفي القول إن سباستيان هو عائلتي بواسطة الزواج، لكن أنت من أفراد عائلتي بالدم. من تراه يتحمل مسؤولية أكبر؟».

- هل نتحدث عن العائلة نفسها التي أدارت لي ظهرها منذ اثنتي عشرة سنة؟

قالت إيما بحدة: «أنت من غادرت! أظن أن هناك زاوية رمادية تتعلق بتحديد من الذي رفض الآخر».

- تبدو الأمور بالأبيض والأسود بالنسبة لي. هل يفترض بي أن أنسى

www.elromancia.com

الماضي وأقدّم رأس المال؟

- لا أطلب منك النسيان.

قالت إيما ذلك بهدوء مضيفة: «يمكنك التعلم من الماضي، ثم اتخاذ قرار حكيم. هناك ما هو أكثر من المال في تقديمك الدعم، جاك. يتعلق الأمر بتصحيح العلاقة مع العائلة».

لم يفكر جاك أنه حقود أبداً، لكن ساوره شعور عنيف لمعرفته أنه يمسك قدر والده بن يديه. باستطاعته تذوّق طعم الانتقام، وتساءل إن كان سيجده حلواً. فكر أن كل ما يجب عليه القيام به هو المغادرة وإدارة ظهره لهذا الأمر برمته.

ازدادت نظرة إيما حدّة حين خيّم الصمت، ثم قالت: «أنت شخص يصعب التعامل معه، جاك. إنك تشبه والدي كثيراً، وهذا فعلاً أمر مدهش».

- وأنتِ ما زلت تحاولين إرضاءه. أليس كذلك؟

صرّ بأسنانه وهو يقول ذلك، متعمداً عدم النظر إلى مادي.

- حباً بالله، جاك! لا تكن أحمق.

الخلاف بينه وبين شقيقته بدا واضحاً، وكان جاك قد نسي وجود مادي إلى أن عبّرت عن موافقتها، حيث حدّق إليها كلاهما حين قالت دون أن تكترث أبداً لنظرته: «هل تعرفين كم مرة تمنيت قول هذا له؟».

ابتسمت إيما، وظهرت في عينيها ومضة عناد قبل أن تقول: «هاجميه، مادي. ولك مني المساندة».

التقت نظرة جاك بنظرة مادي من فوق الطاولة الأنيقة فقالت له: «سيادتك، تبدو أحمق تماماً».

- على ذكر السيادة...

وقفت إيما متابعة: «... عليّ الذهاب الآن، سباستيان وأنا سنعود بعد مدة، إذا غيّرت رأيك وأردت التكلّم في الموضوع».

نظرت إلى مادي قائلة: «إنها فرصة سعيدة جداً أن التقيتك. آمل أن

أراك ثانية قريباً».

- اعتمدي عليّ.

- ممتاز!

استدارت إيما، لكن جاك ظلّ يحدّق إلى مادي، متسائلاً عن سبب تعليقها هذا.

قال لها: «لم أعرف أنكِ تقولين شيئاً لا تعنينه».

- أنا لا أفعل ذلك.

- حسناً! كيف سترين شقيقتي إذا كنا سنرحل قريباً؟

- إنه أمر بسيط، جاك.

التعبير العنيد على وجهها أعطاه شعوراً سيئاً بأنه سيواجه المشاكل. وقد قيل له قبل اليوم إن أصحاب الملايين يواجهون مشاكل من هذا النوع.

نظرت إليه مادي قائلة: «وعدتني بقضاء بعض الوقت في لندن، وأنا أنوي الحصول على هذا الوقت. أنا لن أرحل!».

www.elromancia.com

٤ - متنافسان

لم يقل جاك الكثير بعد أن ألقت مادي ذلك التصريح، لكنها عرفت أنه يفكر فيه. أثناء الاجتماع الذي عقداه بعد الظهر، كان يخرج التوتر من صدره مثل إشعاعات سببها تسرب مفاعل نووي. في طريق العودة إلى الفندق، بقي يحدق إليها ويعبس طيلة الوقت.

وصلا منذ لحظات إلى جناحهما في الفندق، وخلعت مادي معطفها الكشمير. ثم وضعته على ظهر الأريكة المزدوجة، واستدارت لتواجه جاك، الذي راح يتفحصها بتركيز. بدت نظرته قاتمة خطيرة واستجاب قلبها بخفقات تلقائية سريعة قبل أن يعود إلى ضرباته العادية.

- إذاً، سار الاجتماع بشكل جيّد، ألا تعتقد ذلك؟ الشركة التقنية مناسبة جداً لطريقة عملك، لكن إنتاج ألعاب تقنية للأولاد هي مجال جديد لك. أراهن أن تصميم الدراجة الثلاثية مع ناقل الحركة أعجبك.

- العجلات الخلفية التي تتحرك معاً تقريباً حين تزيد السرعة هي طريقة مبتكرة جيّدة لدمج عجلات التوجيه.

شبك ذراعيه فوق صدره واتكأ بوركه على مسند الأريكة المزدوجة.

النظرة المحدقة التي ثبتها عليها حذرتها من حصول شيء غير آمن، ولم تستطع تمالك نفسها من التفكير بعناقه. عادوتها ذكرى تلك الحرارة التي أدفأتها بالعمق في داخلها، مالئة ذلك المكان الفارغ من قلبها.

استدارت حوله، وجلست على الأريكة المزدوجة قائلة: «ذهلت من التقدم في تقنية صنع بيت اللعبة. وما أعتبره لمسة رائعة على نحو استثنائي هو دمج بيتين معاً، واتصال فتاة مراهقة بفتاة أخرى».

- تحدث أشياء كثيرة عندما تتكلم النساء!

لم تشك مادي أن تلك إشارة غير لطيفة إلى حديثها مع شقيقته. وعلى الأرجح إلى إعلانها بأنها ستبقى. انتظاره ليقول رأيه بهذا الموضوع كاد يدفعها إلى الجنون، فقالت: «أفكر أن هذه الشركة التقنية يمكن أن تتحد بشكل جيد مع مشروع «حلول لمشاكل الأمهات».

- تبدو كأنها مجازفة مربحة.

حدّقت إليه قائلة: «على العكس من مجازفة المطعم. أليس كذلك؟».

شدّ فمه بإحكام قبل أن يقول: «فط أخبريني ما الذي يدور في رأسك، مادي».

السؤال الأهم هو ما الذي يدور في رأسه هو. ردّت مادي عليه قائلة: «أود التحدث عن عائلتك التي تمتلك سلسلة مطاعم، وكيف يرتبط ذلك برفضك وضع رأسمال في مغامرة إقامة مشروع مطعم مربح، لأنك تقول ببساطة إنك لا تعرف أي شيء عن هذا العمل».

- أنا لا أريد التحدث في هذا الموضوع أبداً.

سألته مادي: «هل السبب في ذلك أن عائلتك طردتك منذ اثنتي عشرة سنة؟».

ابتعد عن الأريكة وبدأ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً قائلاً: «هل تتذكرين كل شيء أقوله؟».

- أجل.

لم تعرف مادي شيئاً عنه لأكثر من سنتين، والآن يبدو أنها تمتص كل ما يصلها من المعلومات التي تخصّه مثل اسفنجة فائقة الامتصاص.

- إذاً كنت...

قامت بسرعة بالحسابات الرياضية وتابعت: «... في الثامنة عشرة عندما أقلعت عن العمل المختص بالمطاعم؟».

توقف أمامها ونظر إليها قائلاً: «تركت المنزل، وذهبت إلى نيويورك».

- تبدو لي تلك ثورة مراهق إلى حد ما.

www.elromancia.com

– أبي وأنا لا ننسجم مع بعضنا.

– لاحظت ذلك. لكن لا بد أن شجاراً عنيفاً حصل ليدفعك إلى مغادرة المنزل.

راقبته بدقة، محاولة قراءة تعابيره المشدودة، ثم سألته: «ماذا حدث؟».

– حدث ذلك منذ زمن بعيد، أنا لم أعد أتذكره.

التماعة الغضب في عينيه أخبرتها بأنه يكذب، لكنها قررت ألاّ تضغط عليه أكثر. وربما هي لا تعرف حقائق وتفاصيل عن ماضي جاك، لكن المسألة لا تتطلب مهارة محلل نفسي ليدرك ماضيه والتوتر العائلي المسؤول عن إظهار الجانب القاتم فيه. على أي حال سواء أظهر الهدوء أو الإبهام، لم تعتقد أن مقاومته وعناده سيتغيران. عندما يعزم جاك على شيء ما، هي تعلم أن من الحماقة محاولة معرفة موقفه مباشرة. سوف تجد طريقة غير مباشرة لتدخل.

– حسناً!

أومأت برأسها متابعة: «إذا كنت لا تريد التكلم عن ذلك، هل يمكنك على الأقل إخباري عن جدّك وقصة الحب التي أسّست لعمل العائلة؟».

هزّ كتفيه قائلاً: «أُرسِل ويليام ڤالنتين إلى نابولي كأحد أفراد الحملة البريطانية في الحرب العالمية الثانية. هناك التقى بلوتشيا فورناري وتزوج بها سنة ألف وتسعمئة وثلاثة وأربعين».

عندما توقف عن الكلام، أرادت أن تهزّه. لماذا يقوم الرجال بإهمال التفاصيل؟ فقالت: «ثم...؟».

– عندما عادا إلى بريطانيا، فتح مطعماً في تشيلي تكريماً لزوجته الجديدة وسمّاه بيلا لوتشيا.

– الحسناء لوسي.

همست مادي. التقى نظرها بنظره، وانتظرت بترقب قائلة: «ثم...؟».

– ثم افتتح مطعمين آخرين. واحد في نايتزبردج، والآخر في مايفير.

عند نظرتها الغاضبة أضاف: «ظاهرياً، أدار ويليام العمل حتى وفاته في

حزيران».

فوجئت مادي بالمعلومات التي سمعتها فاستنتجت قائلة: «إذاً، أنت لم ترَ عائلتك طيلة ذلك الوقت!».

انتقل من مكانه وقد شعر بالضيق. وأسند يديه على وركيه قائلاً: «قبل أن تبدأي، تذكري أنني كنت منشغلاً بالبقاء على قيد الحياة. عدم امتلاك مقدار ضئيل من المال يجعل الاتصال صعباً».

لم يكن يملك شيئاً، وكان في الثامنة عشرة من عمره فقط، في نيويورك وحيداً. آه، جاك! فكرت مادي، لماذا وضعت نفسك في ذاك الوضع ولديك عائلة تحبك؟ لكن كل ما قالته هو: «ماذا حدث؟».

– بقيت على قيد الحياة.

هزّ كتفيه متابعاً: «في آخر الأمر، تسلمت إرثاً صغيراً من عمّ لجهة والدتي وأنا حوّلت ذلك إلى شركة ڤالنتين».

– حسناً!

يمكن لمادي أن تفهم أنه كان منشغلاً ببناء شركته الخاصة. تابعت تسأله: «لكن بعد أن نجح عملك، ما العذر الذي قدمته لنفسك لعدم رؤيتك إيما؟».

– إيما لديها عملها الخاص كطاهية في بيلا لوتشيا.

– إذاً، ما الذي دفعك للعودة الآن؟

– هل أنا بحاجة إلى سبب؟

– بعد اثنتي عشرة سنة؟ أعتقد ذلك.

قالت متابعة: «أستطيع رؤية ذلك في وجهك. يبدو عليك الشعور بالذنب».

تغيّر وجه جاك. بالنسبة لأي شخص آخر يمكن تسمية ذلك ارتباكاً، لكن جاك ڤالنتين الجبّار لا يرتبك.

– حسناً! انفصل والدانا ورحلت أنا، فتُرِكَت إيما لتتعامل مع كل تلك الورطة. سألتني المجيء الآن وأنا أدين لها بذلك.

هزّ كتفيه كما لو أن الذي قاله يشرح كل شيء. وحين حدّقت إليه ببساطة

www.elromancia.com

عبس قائلاً: «ماذا؟».

كتّفت مادي ذراعيها على صدرها قائلة: «إذاً، أنت لا تنسجم مع والدك!».

نظر إليها جاك وكأن لها رأسان وقال: «سمعتِ ما قلته. تجاهل عائلته، ولم يكن مخلصاً لوالدتي مع نسائه العديدات».

- نساء عديدات! وحتى الآن، تعتقد أنكَ لا تشبهه؟!

الحديث عن نساء جاك مسّ وتراً في ذلك المكان البارد في داخلها. أرادت أن تبقى لا مبالية وألاّ تشعر بشيء، لأن الطريقة التي استجابت فيها إلى عناقه أخبرتها أن إمكانية الشعور بالألم موجودة هناك أكثر مما تتصور، فأردفت: «الفارق الوحيد هو أنك لم تتزوج أبداً بأي من نسائك المتعددات، لماذا لم يحدث ذلك؟».

ركّز نظره عليها قائلاً: «لأنني أحبّ النساء».

- هذا ليس جواباً.

- لنقل إن لدي الكثير لأقدمه كصديق وحبيب لا كزوج.

عندما فتحت فمها لتسأل أكثر، رفع يده قائلاً: «هذا يكفي».

شعور من الرغبة في حفظ الذات أرسل الرسالة نفسها إليها. إنها لا تتحمل السماح للانجذاب الذي أثاره فيها أن ينفجر. ذلك سيكون سيئاً لأنه يتجنب الزواج، وهي لا ترغب في توطيد العلاقة بينهما لأقل من هذا المستوى. في الجامعة استُخدِمت كرهان. بعد ذلك، حاولت ثانية واكتشفت أن ذلك الشخص يستخدمها للوصول إلى جاك من أجل الحصول على رأسمال لمشروع. هي تريد رجلاً يحبها ويكون مستعداً للالتزام بذلك الحب.

أومأت برأسها قائلة: «حسناً! لكن على الأرجح أنك يجب أن تكون الآن متجهاً إلى مطار هيثرو».

- وما السبب؟

- ستعود إلى نيويورك اليوم.

نظر إليها سائلاً: «هل أنت مصممة على البقاء؟».

- أجل، إنه وقت عطلة، وأرغب في رؤية بعض معالم لندن.

- وحدك!

- أجل!

ببساطة لم تستطع مقاومة إغاظته فتابعت: «ربما يستطيع ماكس مرافقتي في الجولة».

- أيّ جولة سيقدمها لكِ شقيقي الأكبر، لن ترغبي في القيام بها.

حين تلفّظ بكلماته جاء صوته هادراً على غير عادته.

- لم تَرَه منذ اثنتي عشرة سنة، جاك. كيف يمكنك معرفة ذلك؟

- عندما كنت هنا، كان ماكس الشقيق الأكبر الذي يتمناه كل شاب. إنه يعرف كيف يحتفل. اصطحبني إلى أفضل الحفلات، وعرّفني إلى نساء سريعات وسيارات أسرع.

ردة فعله لم تخيّب أملها، لكنها جعلتها تزداد فضولية. لم يظهر أقل إشارة من العاطفة من قبل، حين كانا يتحدثان عن مواعيدها مع الرجال. ما الذي تغيّر الآن؟ هل السبب هو وجودهما في لندن، أم أن التوتر العائلي هو الذي أخرج هذا الجانب من جاك؟ هذا الجانب تحبّه مادي كثيراً.

- يبدو لي أن ماكس سيعرف إلى أين يأخذني. لا تقلق، سأكون بخير. أتمنى لك رحلة جيدة.

وقفت. لكن قبل العودة إلى غرفتها قالت: «سأدفع حساب الفندق، وأغادر بعد أن أجد مكاناً آخر لأبقى فيه».

أوقفها بوضع يده على ذراعها قائلاً: «لا تزعجي نفسكِ».

- أنا متأكدة أنني أستطيع إيجاد غرفة...

- أنا سأبقى.

- هل أنت متأكد؟ الأعمال تنتظرك.

- سنعمل هنا.

- جيد.

ابتسمت مادي بلطف. ما زال هناك دفعة واحدة تريد أن تمنحه إياها.

فأكملت قائلة: «عندئذٍ سيكون لديك الوقت الكافي لتتصل بشقيقك الأكبر. وربما باستطاعته أن يطلعك على كل التقنيات الجديدة مع النساء السريعات».

- تناولنا الموضوع الليلة الماضية.

رفعت أحد حاجبيها قائلة: «آه، من فضلك! لا أصدق أنك لا ترغب في رؤيته والاستغراق في الذكريات حول هؤلاء النساء».

- لِمَ لا؟

- أسمع جاك. إمّا أن تتصل بماكس، أو أتصل به أنا. لماذا أنت عنيد بشأن هذا الموضوع؟

- فقط لأن...

أحست مادي بالصراع في داخله، وأدركت أنه لا يعرف ماذا يفعل بشأنه. فتابعت: «وأنا جادّة في ما أقول».

حدّق إليها للحظات عدّة، كأنه يأخذ قياسها. ثم أومأ بتجهّم وقال: «حسناً! سأتصل بماكس».

شعر جاك بالسرور لأن شقيقه اقترح أن يلتقيا في مطعم لا يملكه آل ڤالنتين. إنها منطقة محايدة، بجانب ساحة غروفنور. المطعم الذي اقترحه ماكس هو موقع أنيق يسوده جو عابق بالمهارات الفنية، بدءاً من الصفوف الثلاثة للأضواء الملونة إلى الألواح الزجاجية في النوافذ المحفورة بدقة.

أُجلِسا هو وماكس في زاوية هادئة، وجلست مادي في الوسط بينهما. حين راح جاك يتفحص شقيقه على الجانب الآخر من الطاولة، تحرّك ذاك الشعور بالفراغ في داخله ثانية، وتساءل عن كل تلك السنوات التي مضت، وما الذي فاته خلالها.

رفع ماكس كوبه وقال: «إلى اجتماع شملنا من جديد».

- إلى اجتماع الشمل.

أكدت مادي على كلامه وتابعت قائلة: «إذاً، ماكس. ما لم يخطىء ظنّي، كنت تغازلني تلك الليلة. وعلي أن أسألك... هل هناك السيدة ماكس؟».

- لا.

تمنى جاك لو أنها موجودة، لا سيّما حين لاحظ أن نظر شقيقه انخفض إلى حدود الرقبة من ثوب مادي الشيفون الأسود. ليت ذلك الثوب يغطي رقبتها بدلاً من أن يكون منخفضاً! هذا ليس أمراً جيداً... إنه يشعر بالتمزق بين سروره لرؤية شقيقه مرة ثانية وعقدة مزعجة في داخله يمكن أن تكون.. غيرة؟!

لم يعرف جاك لماذا يشعر بالحاجة لأن يبقيها بعيدة عن ماكس. لكنه فكّر أن لهذا علاقة برؤية لمحة من تلك الفتاة الصغيرة التي تحبّ بيوت الدمى وتؤمن بسانتا. هو مدرك جيداً أن مادي قد كبرت الآن. لقد استسلم للإغراء وعانقها، وهذا أمر يجب ألا يتكرر أبداً.

اتهمته مادي أنه يشبه والده، ولم تقصد بذلك أنه يشبهه بأشياء جيدة. الحقيقة هي أن روبرت ڤالنتين قد أنجب ماكس أيضاً، وجاك لم يعد يعرف شقيقه أبداً. ليس لديه أية فكرة إن كان شقيقه يحب النساء كوالدهما.

لكنه لن يسمح بأن تصاب مادي بالأذى... لا من ماكس ولا منه.

تساءل جاك عند رؤية عبوس شقيقه: «لا أصدق أن ليس هناك امرأة مميزة في حياتك».

- صدّق ذلك.

رشفت مادي رشفة من العصير، ثم قالت: «أخبرني جاك أنك علّمته كل ما يعرفه عن النساء».

- هو أخبرك بذلك؟

انبعث بريق في عينيّ ماكس وتابع: «وهل أخبرك عن الخطة التي كان يستخدمها ليقابل النساء؟».

- لا!

لمعت عينا مادي الزرقاوان بالفضولية، فسألته: «ما هي؟».

همهم جاك قائلاً: «لسنا بحاجة حقاً للتكلم عن ذلك الآن».

- إذا كنت أذكر جيداً...

قال ماكس متجاهلاً جاك وتابع: «كان يقول للمرأة: ألم أرك في مكان ما؟ ويتبعها: آه! أجل. رأيتك في أحلامي».

- لا!

النظرة التي ألقتها عليه مادي بدت مضحكة ومرعبة في الوقت نفسه. تابعت: «قل لي إن ذلك غير صحيح».

- أتمنى لو أنني أستطيع ذلك.

قال جاك ذلك بحزن، لكن الذكرى جعلته يضحك. الأوقات التي أمضاها مع شقيقه تبرز مشرقة وسعيدة في ماضٍ يبعثره الظلام والألم.

سألته: «وهل نجح ذلك؟».

- بشكل رائع!

أجابها ماكس متابعاً: «جعلني فخوراً جداً به».

هزّت مادي رأسها قائلة: «أنا لست فخورة ببنات جنسي لوقوعهن بسهولة في خطّة كتلك».

- ليس للخطة علاقة بذلك.

قال ماكس مضيفاً: «إنها جاذبية ڤالنتين الأسطورية».

اعترضت مادي قائلة: «آه! من فضلك. كان جاك في الثامنة عشرة، والفتيات المراهقات مشهورات بسرعة التأثر».

لم يحب جاك التفكير بأن مادي سريعة التأثر حين تلتقي بالرجال. لا أحد يعرف أفضل منه كم يكون الرجل موطد العزم حين يرغب في الحصول على المرأة. فسألها: «أهي الخبرة تتكلم؟».

- أحب الاعتقاد أنني أذكى من فتاة مراهقة عادية.

ابتسمت مادي، لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيها.

استند جاك إلى الخلف وأسند ذراعه على ظهر المقعد الجلدي بالقرب من كتفها الناعمة كالحرير. ناضل ليبقي تفكيره مركزاً على الحديث، محاولاً الابتعاد عن تخيّل ما يخبىء ثوب الشيفون الأسود تحته، فقال: «صحيح أن ماكس علمني، لكن الأمر احتاج إلى مهارة. كان عليّ النجاة من كل

العقبات لأتنافس معه».

ردّ ماكس بسخرية قائلاً: «أنا أكبر منك بسبع سنوات، لم تكن تلك مباراة».

- ربما لم تكن كذلك بالنسبة إليك.

خرجت الكلمات من جاك قبل أن يفكر، وأمِلَ أن أحداً لم يلتقطها.

أخذت مادي منديل المائدة الكتاني ووضعته على حضنها قائلة: «إذاً كنت تشعر بالمنافسة؟».

حدث ذلك منذ وقت طويل. لن يخسر شيئاً باعترافه بالحقيقة. فردّ قائلاً: «نعم، شعرت بذلك».

عبس ماكس قائلاً: «يا ليتني عرفت! الحقيقة، إن فارق العمر بيننا جعلها ميدان لعب غير متوازٍ».

ابتسم لمادي متابعاً: «ولم تكن تلك الخسارة الوحيدة. أنا حصلت على سحر ڤالنتين كله، ويسرني أن أمنحك الفرصة لتحكمي على ذلك بنفسك».

- توقف، ماكس!

جاء صوت جاك مفعماً بوهج غير عقلاني من الغيرة ممزوجاً مع حس كبير من الحماية. أردف قائلاً: «مادي لديها عمل. لا وقت لديها من أجل...».

قاطعته مادي قائلة: «حياة خاصّة. ربما حان الوقت لأقوم بشيء استثنائي».

ردّ جاك بحدّة: «ليس مع ماكس».

- من الواضح أنك لم تتخلّص بعد من فترة التنافس.

رفع ماكس أحد حاجبيه القاتمين مضيفاً: «هكذا تبدو قوانين المعركة واضحة. هل نحن نتنافس على النساء عامّة أم على مساعدتك على وجه التحديد؟ أم أن المنافسة تتضمّن شيئاً آخر؟».

ردّ جاك بحدّة ثانية، رافضاً التحدث عن مادي وقال: «ليس بعد الآن».

سأله ماكس: «وما معنى ذلك؟».

www.elromancia.com

- لا شيء... لا يهم.

حدّقت مادي إليه قائلة: «إذا كان الأمر غير مهم، فما العيب في التحدث عنه؟».

عرف جاك أنه إذا لم يعطِ جواباً سيكون للمسألة أهمية أكثر مما تستحق.

ألقى نظرة على ماكس وقال: «كنت دائماً أشعر كما لو أنني أنافسك لألفت انتباه أبي وأكسب احترامه».

ردّ ماكس بغير تحيّز قائلاً: «إذا كان الأمر هكذا، فالقدر أعطاك الفرصة المثالية لتتمتع بالسلطة».

حدّق جاك إلى شقيقه وردّ: «هذا بسبب الحاجة الملحة للمال الآن».

خمّن ماكس قائلاً: «يبدو أن إيما أخبرتك عن المشاكل المالية التي تمرّ بها».

- نعم، أخبرتني.

لاحظ جاك النظرة الصلبة في عيني شقيقه، فأردف: «إذا ما تورطت في هذه المسألة، أود القيام بالأمر بطريقة مهنية صرفة. تفكيك العمل وبيعه كأجزاء، يتضمن بعض الإغراء».

ردّ ماكس بحدة: «كيف تستطيع حتى التفكير في ذلك؟ أنت من آل ڤالنتين!».

- بحسب شهادة الميلاد، نعم.

بدا التوتر على جاك وهو يكمل كلامه: «لكن بالممارسة، لم أكن من آل ڤالنتين لوقت طويل».

قطّب ماكس حاجبيه قائلاً: «إنه أكثر من عمل، إنه ميراث».

- ليس من وجهة نظري.

- إذاً، أنت تدير ظهرك.

شدّ ماكس فمه وأردف: «كان عليّ توقع ذلك».

سأله جاك: «ماذا تعني؟».

- هذا ما أنت بارع في القيام به. أردت الحصول على احترام والدي،

لكن كل ما تمكنت من الحصول عليه هو انتباهه... لم يحصل ذلك بطريقة جيدة. افتعلت مشكلة كبيرة في المطعم، ثم رحلت إلى مكان مجهول. هذا عمل غير مسؤول. أنا، إيما، باقي أفراد العائلة...

هزّ ماكس رأسه متابعاً: «... مرّ وقت طويل دون أن نعرف إذا كنت حياً أو ميتاً. إذا أردت الاحترام، فإن الأنانية والتصرف دون اعتبار ما يفكر به الآخرون ليسا الطريقة التي توصلك إلى ذلك».

كوّر جاك يديه بشكل قبضتين وقال: «ليس لديك فكرة عمّا حدث».

- نوّرني.

للحظة، استعاد جاك ذكرى ما فعلته أمّه، وما فعله هو نفسه ليكتم الحقيقة عن والده. ما زال يتذكر نظرات الاحتقار الغاضبة على وجه روبرت ڤالنتين حين قال إن جاك لا يستطيع الحصول على أي شيء، وإنه لا يتحمل رؤيته. يومها قال إنه ابن أمه، لأن ابنه هو لا يمكنه أن يكون غير كفوء.

- انسَ الأمر.

اندفع غضب شديد في داخله... غضب مدفون، قوي، ومعذّب. بدأ يرتفع عن الكرسي، ثمّ أحسّ بيد مادي على يده.

- جاك. ضع نفسك مكان شقيقك. كيف كنت ستشعر إذا اختفت إيما دون أي كلمة، أو ماكس، أو أي شخص آخر تهتم لأمره؟

نظر جاك إلى عينيها الزرقاوين، المليئتين بالقلق والشفقة. الدفء والنعومة في أصابعها تسربا إلى داخله، ومسّا ذاك المكان الفارغ، البارد الذي يبدو أنه لم يُملأ أبداً. كلماتها ومنطقها الهادىء تغلغلت فيه ببطء وبرّدت غضبه.

شيء ما غير مألوف أمسكه بإحكام من صدره حين فكّر باحتمال اختفائها من حياته. هو يعتمد عليها في عمله، يحترمها ويُعجَب بها. وفوق ذلك كله هي امرأة جميلة. لكن هذا... الانجذاب... لا علاقة له بالعمل. وإذا لم يكن ذا علاقة بالعمل، فهو لن يسمح له بأن يكون أي شيء آخر. إنه مغامر، لكنه لن يجازف بخسارتها.

www.elromancia.com

ليّن أصابعه، وأجبر نفسه على الاسترخاء، ثم قال: «حسناً! أنت محق ماكس. أنا رحلت دون أي كلمة».

رفعت مادي أحد حاجبيها الرفيعين وسألته: «هل اعترفت الآن أنك مخطىء؟».

ألقى نظرة عليها وكشّر قائلاً: «لا!».

ضحك ماكس، وقال محاولاً أن يلطف الجو: «أنا متأسف، إنها ميزة أخرى لآل ثالتين».

علّقت مادي قائلة: «نعمة ونقمة!».

ابتسم ماكس لها. ثم نظر إلى جاك قائلاً: «جاك! كان المطعم مريحاً في ما مضى. المشكلة التي طرأت الآن سببها ببساطة اختلاس المال. والدي رجل أعمال لامع».

- لم أقل أبداً إنه ليس كذلك.

- يقولون إنك تشبهه كثيراً.

- سمعت ذلك، أيضاً.

بدا جاك مشمئزاً وسئماً من سماع ذلك.

تابع ماكس: «أنت بحاجة إلى الذهاب لرؤيته، يبدو واضحاً أنك لم تصل إلى ما أنت عليه عن طريق التصرف بغباء، وستكون حماقة منك أن تسمح للانفعال بأن يؤثر على رأيك السليم. بيلا لوتشيا استثمار جيد. ثق بي».

هزّ جاك رأسه قائلاً: «سأفكر في الأمر».

لاحظ النظرة في عينيّ مادي وعرف أن الأمر سيتطلب أكثر من تفكير.

٥ - في مواجهة الماضي

جلست مادي في الجناح الخاص في الفندق مرتدية بنطلوناً مريحاً من المخمل وسترة ملائمة من الصوف المحبوك. راحت تحرك فنجان الشاي في يديها. الطقس بارد جداً في الخارج، لذا شعرت بالامتنان لوجود المشروب الساخن بين يديها ليبعث الدفء في داخلها. لقد شعرت بالدفء أيضاً حين أعطى جاك تعليماته للسائق بأن يأخذهما في جولة في لندن أثناء الليل، ولا شك أن هذا الوقت يعتبر أفضل وقت لرؤية المدينة. الظلام والأضواء الموضوعة بشكل مدروس تخبىء العيوب وتركز على الكمال. يشبه ذلك حالة جاك إلى حدٍ ما، فهو رجل من النوع الذي يبدو مظهره الكامل مثيراً للإعجاب، لكن مادي تكتشف يوماً بعد يوم أن حياته بعيدة تماماً عن الكمال.

جلست مادي على الأريكة مثنية قدميها تحتها، وراحت تراقب جاك وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً أمام النافذة. قالت له: «إذاً سوف تفكر بلقاء والدك!».

- قلت إنني سأفعل.

أصرّت مادي قائلة: «هل عزمت على رؤيته، أم أن هناك شيئاً آخر لتفكر به؟».

- ربما!

- أهذا السبب تذرع الغرفة مثل رجل مسؤول عن مراقبة الدقة في حياكة السجادة؟

توقف جاك في منتصف المسافة، ثم مشى وجلس بجانبها. غرقت الأريكة

www.elromancia.com

بسبب وزنه وتراءى لها أن قربه امتص كل الأوكسجين من الهواء. تساءلت لما لم تلاحظ ذلك أبداً في المكتب في نيويورك. هل سيلازمها هذا الشعور بالحرمان من الأوكسجين من الآن فصاعداً بسبب معانقته لها؟ إذا كان الأمر كذلك فسيكون من الصعب عليها متابعة العمل الذي تحب.

قال لها: «المشي يساعدني على التخلص من الطاقة الزائدة».

بدأت مادي تنقر بأظافرها على جانب فنجان الشاي وتردد الرنين في أذنيها. غمغمت بهدوء: «هم... !».

سألها بحدة: «ما معنى ذلك؟».

هزت كتفيها بخيبة: «إنها فقط إجابة ملتبسة، لتخبرك بأنني أصغي إليك. من المفترض أن يشجعك ذلك على متابعة كلامك».

- لا أريد التكلم.

- حسناً! كيف تشعر حيال الإصغاء؟

- هذا يتوقف على ما ستقولين.

- بداية أقول لك إن ذلك التصرف المتسرع من جاك قالتين اليافع يعتبر حقاً تهوراً.

الابتسامة العريضة التي ظهرت فجأة على وجهه بعثت الدفء في داخلها أسرع مما فعل فنجان الشاي. إنها الابتسامة نفسها من الرجل نفسه الذي عرفته لأكثر من سنتين. لكن، تماماً كالحرمان من الأوكسجين، بعد معانقته ازداد عامل القوة فيه بشكل أساسي.

فرك جاك جبينه قائلاً: «هل ترغبين بالتحدث عن نفسك عندما كنت فتاة مراهقة سريعة التأثر؟».

- ولا حتى مقابل مليون دولار.

- حسناً! لنتفق إذاً على ترك الماضي على حاله.

- ليس بهذه السرعة! أنا أريد التحدث عن اقتراح ماكس بأن ترى والدك.

- أنبأني حدسي بأنك ستتحدثين عن ذلك.

اتكأ جاك إلى الوراء واضعاً ذراعه على المسند الخلفي للأريكة. بدت الوضعية اللامبالية التي اتخذها غريبة مع النظرة القاتمة، القلقة المتهورة في عينيه.

- جاك، عليك الذهاب لمقابلته.

- في الواقع، أنا لا أريد.

اعتبرت مادي أن هذا الأمر لا يختلف كثيراً عن نقاشاتهما عندما يكون هناك اختلاف بالرأي بينهما في العمل. فقررت أن تتعامل مع الموضوع بالطريقة نفسها.

- حسناً! أخبرني لماذا ترفض رؤية والدك بعد أن قطعت هذه المسافة كلها.

- ألا يكفي أننا تشاجرنا؟

- حصل هذا منذ اثنتي عشرة سنة. ألا تعتقد أن الوقت حان لتتجاوز ذلك؟

- ماذا إذا لم أرغب في ذلك؟

سألته مادي: «ولمَ لا ترغب؟».

- سبق أن أخبرتكِ بالسبب.

زمّت شفتيها قائلة: «قلت إنه كان غير مخلص لوالدتك، وإنه أقام علاقات مع نساء عديدات وإنه كان مدمناً على العمل ومتجاهلاً عائلته، هذا بالإضافة إلى المشاجرة التي لا أعرف تفاصيلها».

أخذت رشفة من فنجان الشاي فأحسّت بالدفء من جديد وأردفت قائلة: «أترغب في إخباري بما حدث؟».

تخلّى جاك عن الوضعية اللامبالية ووقف قائلاً: «دعكِ من هذا، مادي».

- لا!

ابتلعت آخر رشفة من الشاي، ثم وضعت الفنجان على الطاولة.

- إنني آمرك بإقفال الموضوع المتعلق بوالدي.

وقفت مادي وكتّفت يديها فوق صدرها، وحين التقى نظرها بنظره قالت: «لا!».

شدّ فمه بإحكام في حين توهج غضب شديد في عينيه، وقال: «عصيان أمر مباشر هو بمثابة تمرّد».

- إذا كنا نتحدث بشأن العمل، فأنا أوافق. لكن هذا ليس عملاً.

- تماماً! إنه ليس عملاً، إذاً لماذا تتورطين به؟

- أنت ورطتني حين أصريت على مرافقتي لك في هذه الرحلة.

تمنت مادي لو أنها كانت ذكية آنذاك بما يكفي لتقول «لا».

اعتقدت أنها تعرف جاك جيداً، لكن كل شيء يتغير. إنه أصعب ممّا كانت تظن، وهذا الأمر يجعلها تشعر بالإحباط والحماس في آن معاً. الإحباط مع جاك ليس جديداً، لكن الحماس هو ما يخيفها، خشية أن يكون جاك شبيهاً بالرجل الذي سبّب لها الأذى والذل.

تمكنت من التغاضي عن انجذابها لجاك حين رسمته بالفرشاة نفسها التي رسمت فيها ذلك الرجل الأحمق الذي تظاهر أنه يهتم بها. لكن بعد أن رافقته في هذه الرحلة، راحت تكتشف أشياءً عنه. لديه ماضٍ مليء بالأسرار، وهو يُبعد العائلة التي تمدّ يدها له. كلما عرفت عنه أكثر، كلما صمّمت على مساعدته للعودة إلى عائلته.

حدّق إليها جاك قائلاً: «أردتك معي هنا لأن لدي الكثير من العمل، وأنا أعتمد على نصيحتك».

قررت مادي تجاهل العمل. سواء أراد ذلك أم لا، عليه أن يصغي إلى ما فكرت أنه يجب القيام به تجاه عائلته. فقالت له: «إليك نصيحتي، استثمر في بيلا لوتشيا. ستحصل على أكثر من المال في المقابل».

- أنا لا أريد أكثر من المال.

- المال لا يُدفئك في الليل.

قالت مادي ذلك دون تفكير، وسرعان ما ندمت على أسلوبها في التعبير الملحّ. جاك لم يواجه يوماً صعوبة في إيجاد امرأة لتدفئ سريره، وهذا

يزعجها كثيراً.

- هذا صحيح. لكن ذلك لا يتطلب سوى شراء الكثير من الأغطية.

احتجت قائلة: «إنها عائلتك».

فكرت بما قاله لماكس، مع علمها أن جاك دائماً يسعى إلى بناء الأعمال لا إلى تجزئتها، فأردفت: «كيف يمكنك حتى التفكير بتفكيك المطاعم وبيعها كأجزاء؟».

- لأن الأجزاء في هذه الحالة هي ذات قيمة مالية أكثر من العمل ككل.

- لا يمكنك النظر إلى هذا الأمر من المستوى المهني. إنه أمر شخصي بوضوح. من المحتمل أنك ستكسب مالاً أكثر، لكن ذلك سيكلفك خسارة نفسك.

- والدي خسرني نفسي منذ اثنتي عشرة سنة. فإذا اشتريت نفسي الآن، سيكون ذلك حسب شروطي.

لمعت عينا جاك بشكل خطير مما جعل مادي ترتجف قائلة: «أنت بحاجة إلى التكلم مع والدك».

جلوس شخصين بمفردهما في غرفة واحدة، هو كالجلوس أمام شاشة كمبيوتر فارغة. إذا جلست أمامها لوقت كافٍ، فهناك فرصة كبيرة لتكتب شيئاً عليها. إذا أُجبر جاك ووالده على مواجهة بعضهما، فسيتكلمان عن الماضي ويسوّيان خلافاتهما.

سألها جاك: «ماذا إذا لم أرغب في ذلك؟».

للحظة فقط جال في ذهنها فجأة أنه كان ولداً صغيراً عنيداً بلا شك. إنه ساحر وقوي الإرادة، ومن المحتمل أنه تسبّب لوالده بنوبة قلبية. إنه ما زال ساحراً وقوي الإرادة، وقد يسبب لها هي أيضاً الإصابة بنوبة قلبية. على الشخص أن يكون قوياً ليتمكن من التعامل معه، إذا ما رغب في ذلك. وهذا ما لا تريده مادي بلا ريب.

حذّرته قائلة: «إذا رفضت الإصغاء إلى نصيحتي، أعزم على التدخل والإلحاح باستمرار إلى أن تتكلم معه».

www.elromancia.com

- رمى عليها نظرة عنيدة كأنه يأخذ قياسها. أدرك بوضوح أنها لا تخدعه، لأنه أخيراً أومأ برأسه قائلاً: «هل أخبرتك سابقاً كم أجدك مزعجة؟».

- الشعور متبادل.

أمِلت أن اللقاء سيسوى الخلاف بينهما، لأنها وجدت نفسها بين صخرة وحائط قاسٍ. هي لا تحب النهايات المفككة، ولا تستطيع المغادرة قبل أن يقوم جاك بمحاولة لإحلال المودة مع عائلته. لكن إذا لم يعودا إلى نيويورك قريباً، فإن موقفه المزعج هذا سيكون أصغر مشكلاتها. يمكن لتلك المعانقة أن تصبح مشكلة كبيرة إذا بقيا هنا لوقت أطول. هي ليست واثقة من أنها تستطيع المقاومة إذا ما تحول جاك إلى رجل عنيد يريدها بشدة.

* * *

وقف جاك يتأمل منزل والده الأبيض الكبير المزخرف بالجص في كنغستون الجنوبية. إن ترك الذكريات المرّة وراءه ليس بالأمر السهل، وهو لا يتشوّق إلى استعادة الذكريات التي عرف أنه سيجدها في الداخل. لكنه قابل إيما وماكس، ورافق مادي لرؤية بعض معالم لندن. سينهي تلك المسألة مع والده وجهاً لوجه، ثم سيعود مع مساعدته العنيدة إلى لندن، حتى يكون كلاهما في وطنهما للاحتفال بليلة رأس السنة.

ضغطت مادي على الجرس، ثم ألقت نظرة خاطفة على جاك قائلة: «سيكون الأمر أسهل إذا لم تبدُ كأنك ذاهب إلى تنفيذ حكم إعدامك على يد زمرة من المجرمين».

تعبيرها الساخر وكلماتها اللاذعة جعلت جاك يبتسم تقريباً.

فُتح الباب وظهرت أمامهما امرأة سمراء البشرة صغيرة القامة ونحيلة. عاينتهما لثوانٍ قبل أن تضيء وجهها ابتسامة ودية قائلة: «إذا كنت أنت جاك فقد بكّرت في المجيء».

- أجل، هذا أنا. ومن أنتِ؟

- ميليسا فوكس. أظن أننا قريبان نوعاً ما، بما أن أمي تزوجت والدك.

مدّت مادي يدها بسرعة قائلة: «مادي فورد. جاك وأنا نعمل معاً».

صافحتها ميليسا قائلة: «سررت بالتعرف إليك. أمي وروبرت ينتظرانكما. تفضلا بالدخول».

تراجعت الشابة عن الباب، ودخل جاك ومادي إلى بهو عريض بجانب غرفة الجلوس مباشرة. في هذه اللحظة، نزلت الدرج امرأة ممتلئة الجسم، شقراء، مرتدية ثوباً فضفاضاً من اللون الأخضر الزمردي، تحمل بين يديها كلباً صغيراً أبيض. شعرها مجعد يتدلى فوق كتفيها.

اجتازت البهو ومدّت يدها قائلة: «أنا بيڤرلي. وأنت يجب أن تكون جاك. إنك تشبه والدك كثيراً».

ما من حاجة ليسألها إذا كان ذاك جيداً أم سيئاً، فجاك يعرف الأجابة مسبقاً. قال: «مرحباً».

قالت ميليسا: «أمي، هذه مادي».

- سررت بلقائكما.

قرّبت الكلب نحوهما متابعة: «وهذا صافي».

رفض جاك مصافحة كف الكلب. لديه حدود لا ينوي أن يتجاوزها، ولا يستطيع الآخرون التغلب عليه، حتى مادي.

التقطت ميليسا المعطف المعلّق على العمود قائلة: «سُررت لأنكما أتيتما باكراً، لذا سنحت لي الفرصة بالتعرف إليكما».

سألتها والدتها، فيما هي تلاطف الكلب: «ألن تنضمي إلينا على العشاء، ميليسا؟».

- آسفة، لديّ مشاريع أخرى.

هزّت كتفيها وهي تفتح الباب الأمامي: «آمل أن نراك مجدداً، جاك».

ليس إن تمكن من تجنب حدوث ذلك.

عبست بيڤرلي ناظرة إلى الباب الذي أغلقته ابنتها خلفها، ثم استدارت وابتسمت لهما قائلة: «لمَ لا نتناول الشراب في غرفة الجلوس؟».

- أنا أريد بضع دقائق لأتحدث إلى والدي.

اضطربت ابتسامتها، لكنها استردتها بسرعة قائلة: «على الأرجح أن روبرت في غرفة اللهو».

أومأ جاك قائلاً: «أعرف الطريق».

قالت بيفرلي: «سنرافقك».

- لِمَ لا نترك الرجلين يتحدثان على انفراد؟

مررت مادي يدها على رأس الكلب برفق متابعة: «أود منك أن تريني المكان، بيفرلي».

بدت المرأة الأخرى مشككة فسألتها: «هل أنتِ متأكدة؟».

أكدت مادي قائلة: «من غير ريب».

وافق جاك على اقتراح مادي لأنه لا يريدها أن ترى مشهداً آخر غير سار، ولم يشك أبداً أن ذاك ما سيحدث. إنه والده برغم كل شيء.

تقدّم جاك إلى غرفة الجلوس كأنه يمشي نحو ممر الذكريات. السجادات البوهيمية المنتشرة فوق السجادة الكبيرة تعود إلى زوجته الأولى جورجينا. ديانا، زوجته الثانية كانت تميل نحو المطابخ الأميركية. شعار النبالة الإيرلندي المعلق على الحائط، تذكار من زوجته الثالثة، كاثي، والدة جاك.

قبل أن يستولي عليه الامتعاظ الطاحن، لاحظ شعار النسر الأميركي وزرافة من الخزف بالحجم الطبيعي. بما أنه لا يتذكر وجودهما فلا بدّ أنهما يعكسان الذوق المشكوك فيه للزوجة الرابعة. في وسط الغرفة هناك طاولة مثبتة على أربعة فيلة ذهبية. لم يستطع حقاً أن يكتم ارتجافه أثناء مروره في الغرفة. لا عجب أن والده يشعر بالسعادة أكثر في غرفة اللهو.

ولا عجب أن جاك يعيش وحيداً. لقد نشأ في منزل أشبه بمتحف للعلاقات السيئة. لا يحتاج المرء إلى دكتوراه في علم النفس ليفهم أنه دائماً يتوقف فجأة عن العلاقة بامرأة قبل أن يتأذى قلب أي منهما جدّياً. مع جاك تقتصر الحياة على الطعام والشراب والمرح. إنه يرحل قبل أن يحطّم المرأة التي يقيم علاقة معها مثلما حطّم والده والدته. لن يضع أي امرأة في مثل هذا الموقف.

شق جاك طريقه في المنزل، متّبعاً الرائحة الضعيفة للكلور المنبعثة من البركة الداخلية. لاحظ أن الهواء رطب والنوافذ ضبابية بسبب الرطوبة التي تلتقي مع البرودة خارجاً. كان روبرت يجلس على كرسي مريح بجانب البركة، وبجانبه فنجان قهوة، وهو يمسك السيجار بين أصابعه. وهو يرتدي بنطلوناً فضفاضاً وكنزة صوفية ظهرت من تحتها قبة قميصه الرسمية البيضاء التي تصل إلى رقبته.

عندما رأى الرجل الكبير جاك، ابتسم ووقف قائلاً: «مرحباً، بني. أتيت باكراً. لِمَ لا نذهب إلى غرفة الجلوس ونتناول الشراب قبل العشاء...؟».

- لا!

ردّ جاك متجاهلاً يد والده الممدودة نحوه.

بدا روبرت متفاجئاً لفترة وجيزة. لكنه أومأ برأسه قائلاً: «حسناً، يمكنني أن أقدم لك القهوة هنا».

أشار إلى غرفة اللهو، التي تفصلها عن البركة أبواب فرنسية.

- لا تجعل من هذا مناسبة اجتماعية.

عبس والده قائلاً: «ما الذي يعتبر مناسبة اجتماعية أكثر من عودة الابن إلى منزله؟».

الغضب الذي يجيش داخل جاك يبدو مألوفاً ومرحّباً به. ردّ قائلاً: «منذ متى أنا ابنك؟ كما أتذكر، لم ترغب بأي علاقة معي لأن ابنك لا يمكنه أن يكون غير كفوء».

- حصل ذلك منذ وقت طويل.

قال جاك بفظاظة: «أنا صنعت كياناً لنفسي».

إنه يتلهف إلى الشجار. يمكنه الاحساس بالغيظ يكاد يمزقه من الداخل.

هزّ روبرت كتفيه قائلاً: «كنت صغيراً يومها. أنا قلت أشياء قاسية، وأنت قلت بعض الأشياء القاسية».

- أجل!

ما زال جاك يذكر أنه شتم والده، ولم يجعله ذلك يحسّ بشعور أفضل.

– لم تكن تلك المرة الأولى التي نتشاجر فيها، لكن كان هناك شيء مختلف تلك الليلة. ما الأمر، جاك؟

كان يحمي والدته لأن ليس هناك شخص آخر لحمايتها، لكنه تفاجأ لأن والده المنهمك دائماً بشؤونه الذاتية اعتبر ذلك الأمر خارجاً عن المألوف.

– الفارق هو أنني أدركت أن لا شيء بيننا سيتغير.

– لماذا اختفيت، جاك؟

ردّ جاك بنبرة حادّة: «لماذا لم يفتش عني أحد؟».

قال روبرت: «استأجرت محرياً خاصاً ليفتش عنك».

صدم هذا الخبر جاك، لكنه خبأ ردة فعله وقال: «آه!».

– عرف مكانك، وأكد لنا أنك بصحة جيدة.

وجد جاك ذلك صعباً للتصديق، فردّ: «تماماً!».

– اقتفى الرجل أثرك ونقل أخبارك إليّ. قال إنك تعيش في غرفة صغيرة حقيرة في نيويورك. كنت تعمل كمساعد نادل في مطعم لا أذكر اسمه. بدا ذلك تراجعاً ملحوظاً، بنيّ.

ما زال جاك يذكر الغرفة... غرفة مليئة بالفئران والحشرات، ذات جدران صفراء. كان يطهو على صفيحة معدنية حامية أو يتناول شطائر زبدة الفستق ليبقى على قيد الحياة، أو يجلب الطعام من «غميمي صم» المطعم الصيني الذي كان يعمل فيه. أما عندما كان يفتقر إلى المال، فكان يلجأ إلى حيث تقدم وجبات الطعام مجاناً في دار إرسالية تقدم المساعدة للمحتاجين. وفي كل لحظة من تلك اللحظات كان يزداد اقتناعاً أن والده مخطىء، وأن باستطاعته أن يكون شخصاً ناجحاً.

– أنا لست ابنك. ولم يتصل بي أي محرّ أبداً.

ركّز روبرت السيجار في المنفضة على الطاولة المصنوعة من الأماليد بجانب كرسيّه المريح، وعلّق قائلاً: «تعليماته هي ببساطة أن يعرف مكانك. بدا من الواضح أنك كنت بحاجة إلى فترة لتهدأ. وإذا احتجت إلى مساعدة،

فأنت تعرف مكان العائلة. كل ما كان عليك القيام به هو فقط الاتصال بنا».

شدّ جاك يديه بشكل قبضتين على جانبيه حين ازداد غضبه. هل توقع منه أن يعود زاحفاً؟ مستحيل! ردّ قائلاً: «أهذه طريقتك في طلب المال لتنقذ عملك المفلس؟».

لمع شيء ما في عيني روبرت وقال: «لو أن العمل لي وحدي، لما سمحت بأن يصل إلى حد الإفلاس. أخي هو الذي ورّطنا في هذا. غطّى جون على ابنه المختلس».

هذا يؤكد ما قاله ماكس، رد جاك: «إذاً، إنه خطأ عمي جون؟».

شدّ روبرت فمه قائلاً: «لو أن عمّك يمتلك مثل ارتباطي بالعمل وشغفي به لوجد طريقة أخرى لمساعدة ابنه. أبي أنشأ هذا المطعم لأمي لا لأمه هو. جون يشعر بالغيظ دائماً من ذلك».

يا للسخرية! فكر جاك أنه وماكس ليسا من الأم نفسها. ومع ذلك فقد حافظا على علاقة جيدة بينهما رغم تنافسهما ورغبتهما بإرضاء والدهما.

وضع روبرت فنجان القهوة على الطاولة الزجاجية بجانب المنفضة. راح دخان السيجار يحوم فوقها. قال: «فكّر بالأمر، جاك. إذا استثمرت المبلغ المطلوب، سيدفعنا ذلك إلى الأمام تدريجياً. يمكننا العمل معاً في الشركة؛ الوالد والابن».

– وهل نرمي بعمّي جون خارجاً؟

سأله جاك، مناضلاً ليبقي صوته لطيفاً، ثم تابع: «ماذا عن ماكس؟ وإيما؟».

– إيما أصبحت ملكة ميريديا الآن، وأعتقد أن أيامها كطاهية أصبحت وراءها. أما ماكس فيريد الأفضل لهذا العمل.

هذا على الأرجح صحيح بشأن إيما. لكن ماكس الذي يتذكره جاك، لن يحب فكرة رمي شخص من أفراد العائلة خارجاً، بعد أن عمل طوال حياته في هذا المطعم.

www.elromancia.com

- ما رأيك جاك؟

- أترغب حقاً بأن تأتمنني على تنظيم العمل؟

حدّد روبرت نظره قائلاً: «ولِمَ لا أثق بك؟».

- لأنني قد أجزّئه وأدمرك.

- هل هذا ما تخطط له.

سأله جاك: «ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني؟».

والده مشهور بكونه رجل أعمال متألق وناجح، ولطالما سمع جاك أنه يشبهه. إلا أن والده هو كاذب أيضاً، ومجرد من الشعور والعطف. يمكنه أن يتخلى عن أي شيء، حتى عائلته، لأجل العمل. هل جاك هو كذلك، أيضاً؟

- لا تقلق! أنا لا أريد أن أعرف.

لاحظ جاك الدهشة التي لمعت في عيني والده. بعدئذٍ استدار وخرج من الغرفة. وجد مادي حيث تركها، في البهو مع بيفرلي.

- جاك!

بدت عينا مادي الزرقاوان مليئتين بالقلق حين نظرت إلى وجهه.

قال لها بلطف: «سنرحل».

- لكن...!

- الآن.

إنه ليس بمزاج جيد ليسمع نصائح جديدة منها. أمسك بذراعها وقادها إلى الباب.

- سررت بالتعرف إليك.

قالت مادي ذلك لبيفرلي من فوق كتفها فيما أخرجها جاك بخشونة من المكان. أضافت: «بلّغي تحياتي لروبرت».

عندما عادا إلى سيارة الأجرة، استدارت نحوه قائلة: «كان هذا تصرفاً فظاً».

- تماماً!

- ماذا حدث مع والدك؟

- قال لي إنني بمالي وهو بتخطيطه، كأب وابنه، يمكننا أن نحكم العالم.

قالت مادي: «لا تتكلم بسخرية. قل لي ما الذي حدث فعلاً».

- أخبرته بما أنوي أن أفعله إذا ما استلمت العمل في المطعم.

- لكن، جاك! بالطبع أنت لا تعني...

رفع يده ليوقفها قائلاً: «أنا لست في مزاج جيد لسماع دفاعك عنه. هل سبق وأخبرتك كم أجد موقفك برؤية نصف الكوب مملوءاً بنيضاً؟ لماذا لا يمكنك أن تكرهيه مثلي، وفقاً لمبدأ عام؟».

- هذا سخيف، جاك!

هزت رأسها متابعة: «أنا لا أعرفه حتى، ولا حتى أنت... ليس الآن».

فكّر جاك أنها محقة بهذا، لكنه لا يريد أن يتعرف إلى روبرت ثالثتين. إنه يخشى أن يكتشف أشياء جديدة فيه تجعله يكرهه أكثر.

بالرغم مما قاله، ففي معظم الأوقات يعجبه موقف مادي. إنه يجعله عادلاً. جعله موقفها يقبل بالالتزام بهذه المقابلة المشؤومة مع والده. لا يمكنه التفكير بأي شخص يستطيع أن يقنعه بالمجيء هنا باستثناء مادي. على الأقل فإن الأحداث التي حصلت أوقفت تفكيره بمعانقتها. فمنذ تلك المعانقة، أحسّ أن انجذابه نحوها يزداد ويقوى.

حان الوقت للعودة إلى الأسس المألوفة. الآن بعد أن رأى والده، يمكنهما العودة إلى موطنهما، واستعادة علاقتهما العملية المربحة، عندئذٍ ستعود الحياة إلى هدوئها من جديد.

بعد أن أعطى تعليماته للسائق ليعيدهما إلى ديورلي هاوس، نظر جاك إلى مادي قائلاً: «سأطلب أن تكون طائرة الشركة جاهزة في الصباح لتعيدنا إلى نيويورك».

- لكن...

رفع يده مقاطعاً: «أنا جاهز لأن أرحل».

www.elromancia.com

- ليس بهذه السرعة، سيدي. هناك شيء نسيت أن أخبرك عنه.

راوده شعور مزعج بأن هذا الشيء لن يعجبه، فسألها: «ما هو؟».

- اتصلت إيما في وقت سابق ودعتنا إلى حضور حفلة رأس السنة التي ستقام في سفارة ميريديا في لندن. فقبلت نيابة عنك.

- كان عليك ألاّ تقبلي.

- لكن أنا أرغب حقاً بالذهاب. لم أدخل يوماً إلى سفارة، اتركني لأحضر الحفلة وحدي. عليك أن تعرف أنني جاهزة لأذهب لوحدي، حتى لو بدا الأمر غريباً لأنني لا أواعد أحداً.

ثم أردفت: «فكر بالأمر قبل أن تجيب».

يكره جاك فكرة ألاّ يستطيع قول «لا» بصراحة. لقد لاحظ فيها روح الفتاة الصغيرة التي آمنت ذات مرة بالسحر، فردّ: «حسناً! سأفكر بالموضوع».

٦ - حب من نوع آخر

- جاك، كان هذا أفضل يوم في العطلة.

تنهدت مادي واتكأت إلى الخلف في المقعد الجلدي الليّن في سيارة الأجرة.

- إذاً، أنتِ لست آسفة لتهرّبنا من العمل وذهابنا لمشاهدة الأماكن السياحية؟

إنها ليست آسفة، بل هي مندهشة! من الواضح أنه تخطّى غضبه منها لأنها أقنعته برؤية والده.

- عفواً! آه، أرجوك. هذه أنا.

- أنا أعرف.

قال ذلك وقد ظهر على وجهه تعبير جدّي مضطرب، ثم تابع: «خشيت أن تنفجري حين اقترحت كسر القواعد وأخذ يوم استراحة».

- أنا أحب التنظيم، لكنني لست عنيدة.

تراقص قلبها وكاد يقفز من مكانه حين نظرت إليه نظرة جانبية خاطفة. بدا جاك جذاباً جداً. كان شعره الأسود مشعثاً، كما لو أنه مرّر أصابعه من خلاله دون اهتمام. عيناه الزرقاوان تتراقصان حين يضحك وتكتئبان عندما لا يكون ضاحكاً، وقد ارتدى بنطلون جينز وقميصاً ذات قبة بحرية. كل جزء من مظهره يوحي بأنه صبي غنيّ مدلّل. بقاؤهما في لندن فرض عليهما الاتصال المباشر لسبعة أيام على مدار الساعة. ربما لهذا السبب بدأت مادي تأخذ جرعات مفرطة من الشعور بالانجذاب إليه، وذلك جعلها ترحب بالفرصة لترك جناحهما الذي يفرض عليهما البقاء متقاربين.

www.elromancia.com

علّق جاك: «لنقل إنني أقدّر تفانيك، وأعتقد أن عليّ مكافأتك».

- حسناً! ما من شيء أفضل من رحلة إلى قصر باكنغهام لجعل الفتاة تعرف أنها مقدّرة.

وضع يده على مسند المقعد الجلدي بينهما قائلاً: «لا بد أنكِ تدركين أنكِ لست الشخص الأول الذي يحاول التحدث إلى الحراس ويحصل على ردّ فعل غاضب منهم».

- أتقصد أولئك الرجال بالقبعات المضحكة والسترات الحمراء؟

- إنهم متمرنون بشكل جيد.

ردّت مادي بسخرية: «عليهم أن يكونوا متمرنين. لو فكر أي رجل بأن يخرج بين الناس مرتدياً مثل هذا الزي في الولايات المتحدة عليه أن يكون قادراً على حماية نفسه، أو عليه أن يركض كالريح».

ضحك جاك قائلاً: «في الواقع أنا عنيت أنهم متمرنون على عدم إظهار عاطفتهم، أو إعطاء إشارة عما يفكرون به».

مثلك تماماً! فكرت مادي. ربما كان جاك أحد حرّاس القصر في الماضي، لأنها نادراً ما تعرف بما يفكر. تملّص من مرافقتها إلى حفلة السفارة، وتساءلت ما إذا كان هذا اليوم السياحي الطويل هو جائزة ترضية لأن ذهابها لوحدها إلى الحفلة سيجعلها تبدو سخيفة.

- حسناً! كان يوماً مرحاً، جاك. شكراً لأنك اصطحبتني.

- على الرحب والسعة.

تمهّلت السيارة وتوقفت بهدوء بجانب الرصيف. نظرت مادي إلى صفّ المحلات الأنيقة. وسألت جاك: «لماذا توقفنا هنا؟».

- لدينا مهمة.

فتح السائق الباب، وأحست مادي بالهواء البارد الذي جعلها ترتجف حين ترجّل جاك. مدّ يده إليها، ثم لفّ أصابعه حول أصابعها وسحبها نحو «ستيلا» وهو محل ثياب باهظة الثمن. بدا المحل من الداخل مضاء بشكل ساطع بواسطة الثريات البلورية. في وسط الغرفة هناك منصّة مكسوة

بالسجاد ومحاطة بمرايا من الجهات الثلاث.

حول محيط الغرفة علّقت فساتين أنيقة ذات تصاميم خيالية وألوان نابضة بالحيوية، بالإضافة إلى قطع أخرى من الملابس الرائعة.

استقبلتهما فتاة سمراء في العشرين من عمرها، مرتدية كنزة صوفية وتنورة. تنحنحت الفتاة بطريقة ملفتة للنظر، وابتسمت قائلة: «سيد ڤالنتين؟».

- أجل. وهذه مادي.

منحته مادي نظرة تنم عن استياء، وكأن وخزة انزعاج عبرت في داخلها. كان يوماً ممتازاً حتى الآن.

- أنا رونا. تحدّثنا عبر الهاتف. اخترت لك بعض الفساتين الجميلة لتختار من بينها. أعتقد أنك قلت لي إن المقاس هو أربعة. أليس كذلك؟

هل يريد اختيار فساتين؟ سحبت مادي يدها من يد جاك قائلة: «أنتَ لا تحتاجني لهذا».

ردّ جاك: «في الواقع، بلى أحتاجك. بما أنكِ أنتِ من سترتدي الفستان لحفلة ليلة الغد، فإن اختيار الفستان على مقاسك سيكون مهماً. وبما أنني سأكون رفيقك، فإنني أود أن تظهري غاية في الأناقة».

اتسعت عينا مادي حين فهمت كلماته، وقالت: «أستذهب إلى الحفلة؟».

- برفقتكِ، نعم!

تدفقت في داخلها السعادة، فرمت بنفسها بين ذراعيه واحتضنته قائلة: «شكراً، جاك».

ضمها بشدّة وخيّل لمادي أنها سمعت تنهيدة خفيفة تخرج منه قبل أن يبتسم لها قائلاً: «إذاً، الآن أنتِ بحاجة لتجربي الفساتين. الفساتين في هذا المكان هي ذات جودة عالية».

- من أخبرك بهذا؟

- شقيقتي إما أكدّت لي ذلك مع ابنة عمي لويز. هيّا! رافقي رونا.

www.elromancia.com

تبعت مادي البائعة عبر ممر إلى غرفة تغيير ملابس ذات مرايا كبيرة، تحتوي على كرسيين مع طاولة بينهما، وقد علّق فيها عدد من الفساتين.

تنهدت رونا قائلة: «أعتذر لأنني لن أتمكن من البقاء معك أثناء القياس. نحن عادة نهتم بهذا الأمر بدقة لكي نمنح زبائننا اهتمامنا الكامل، لكن السيد ڤالنتين بدا مصرّاً على أنك تريدين شيئاً مميزاً لليلة الغد، وفي الواقع هذا حال نصف سكان لندن. إنها ليلة رأس السنة. واليوم لا يوجد عدد كافٍ من البائعات، لكن...».

رفعت مادي يدها قائلة: «لا تقلقي، سأتدبر أمري».

قالت رونا، مشيرة إلى الفساتين: «إذاً، تمتعي بوقتك. سأعود بأسرع وقت ممكن».

عندما أغلقت الباب، تفحصت مادي الفساتين كلها ورتّبتها حسب الألوان، فوضعت التي أعجبتها أولاً، بالإضافة إلى تلك التي تظهرها أكثر جمالاً، تليها الفساتين المعقولة، وأخيراً تلك التي لا ترتديها في هذا العمر. ليس هناك من طريقة لاختيار الفساتين حسب السعر، لأن المحل لا يضع أي بطاقة على أي من هذه الإبداعات، وعلى الأرجح أنها كلها باهظة الثمن. سيكون عليها أن تسبر الجسر إذا أعجبها أحدها.

بعد أن خلعت بنطلون الجينز والكنزة، رحّبت مادي بالتحدي. وبسرعة استبعدت جميع الفساتين التي لا تظهرها جميلة، أو التي لا يتناسب لونها مع لون شعرها أو بشرتها. جرّبت فستاناً من الشيفون الأسود من دون أكمام. التف الفستان حول جسمها بأناقة. حاولت إقفال السحاب فعلق في أعلى ظهرها ولم تتمكن من إكمال إقفاله. فكرت أن بإمكانها تعقب أثر رونا، ففتحت الباب وألقت نظرة على الممر، حاملة ذيل الفستان وهي حافية القدمين. مشت في الطريق التي أتت منها آملة أن تجد البائعة في الدائرة الأساسية للمتجر.

لم ترَ رونا في أي مكان، لكن جاك كان هناك، ولمحها قبل أن تستطيع التراجع بسرعة. قالت بخجل: «أنا... أنا أبحث عن رونا لـ...».

- أتحتاجين إلى المساعدة؟

- لا...! إنه فقط السحاب. أعتقد أنه عالق.

- أظن أنني أستطيع مساعدتك في ذلك.

راهنت مادي على أنه أغلق السحاب لنساء عديدات. آه! ما كان هذا ليحدث لها أبداً لو أنها بقيت في نيويورك، لكنها فكرت أن لا خيار آخر أمامها. ما من طريقة رقيقة لإخباره بأنه يجعلها عصبية، لأنها تبدو كامرأة انجذبت إلى رجل لا يفكر فيها إلا من خلال العمل. تلك المعانقة ليلة عيد الميلاد ألهبت مشاعرها... لكن بالنسبة إليه لم يعنِ الأمر شيئاً.

- حسناً، جاك!

خرجت إلى الغرفة وأدارت ظهرها له. تبين لها أن المرايا موجودة في كل مكان، فسُحرت مادي من رؤية يده السمراء تتعامل مع ظهر الفستان الرقيق. مرّت أصابعه بسرعة على ظهرها، إلا أنها شعرت كأنها تلامس كل خلية من خلايا جسمها. التقى نظره بنظرها في المرآة وبدت نظراته قوية بشكل ساحر. انقطع نفسها، ثم أفلتت منها شهقة وهي تناضل لتكتم تأثرها به. لم يكن ذلك سهلاً لأن المرايا حولهما عكست بوضوح ملامح وجهها ونظرات عينيها.

حاولت التفكير بشيء آخر لتكسر حدّة التوتر، لكنها لم تستطع بما أن عقلها أيضاً أخذ إجازة في تلك اللحظة. لحسن الحظ، جاءت رونا مستعجلة إلى الغرفة.

- مادي، أنت هنا؟

لم تبدُ رونا راضية عن الفستان حين تفحصته بطريقة ناقدة. وقالت: «لست واثقة بشأن هذا».

قال جاك: «أنا أراه مناسباً».

بدا صوته أعمق من المعتاد وظهرت فيه بحة مثيرة للأعصاب.

قالت رونا: «أوافقك الرأي، هو بالتأكيد يبدو جميلاً عليها».

ثم تابعت وهي تحدّق إلى مادي باهتمام: «لكن لدي فستان باللون

الأبيض، وأعتقد أنه يناسبها أكثر».

أصبحت عينا جاك قاتمتين وحادّتي النظرات، ما بعث نفحة من الارتعاش في العمود الفقري لمادي.

قال جاك بصوت أجش: «لا أدري إن كنت أتحمل رؤيتها في فستان أجمل من هذا».

ضحكت رونا قائلة: «تعالي معي، مادي».

بعد فترة قصيرة، عادت مادي مرتدية ثيابها، ووقفت بجانب جاك، فيما وضعت رونا الفستان في كيس ورقي كبير. إنه فستان من الحرير الأبيض اللون دون أكمام، بدا كأنه صمّم خصيصاً لها. في تلك اللحظة خطرت لها فكرة. كيف عرف جاك مقاسها؟ طبعاً! لأنه يعرف نساء كثيرات وبكل المقاسات والأشكال. رفضت مادي الاعتراف بوخزة الألم التي أصابتها. يكفيها أن هذه التفاتة جميلة منه. عليها أن تفكر بالأمر على هذا النحو، فلا تسمح لأفكارها بالتمادي لتصبح خطراً عليها. فهذا جاك، برغم كل شيء!

أخذت مادي نفساً عميقاً، وهي تحضّر نفسها لمعرفة السعر الباهظ للفستان الذي وقعت في حبّه، فسألت: «كم ثمنه، رونا؟».

ردّ جاك: «أنا سأهتم بهذا الأمر».

ابتسمت البائعة له قائلة: «افترضت أنك ستقوم بهذا».

- لا!

قالت مادي متابعة: «نحن لسنا... أعني أنا لست...».

يا له من أمر مريك! تابعت: «أنا أعمل معه».

لم يكن ذلك واضحاً بشكل صحيح، فقد شعرت بالحرارة تزحف إلى رقبتها واحمرّت وجنتاها. لكن لم تفتها ملاحظة ابتسامة جاك العريضة.

احتجت مادي قائلة: «لن أدعك تدفع ثمنه».

اتخذ جاك وضعية الشجار حين كتّف ذراعيه فوق صدره، وحدّق إلى مادي قائلاً: «حسناً! يمكننا القيام بهذا بالطريقة السهلة أو بالطريقة الصعبة».

- ما هي الطريقة الصعبة؟

- هي أن نتجادل لعشر دقائق، وفي النهاية أقوم أنا بما أرغب به.

سألته مادي: «وما هي الطريقة السهلة؟».

- أن تتكرّمي وتوافقي بالسماح لي بشرائه لك كهدية عيد ميلاد متأخرة.

التوت زاوية فمه وتابع: «أنا أفضل الطريقة السهلة. لقد أفسدت عطلتك وجرّيتك إلى كل هذه المشاكل مع عائلتي. أشعر أنني أحمق عديم الإحساس، لذا اسمحي لي بأن أعوض عن ذلك».

حين نظرت مادي إلى رونا، أدركت أن هذه المرأة مأخوذة بسحر جاك. ففكّرت: انضمي إلى النادي! أي امرأة لا ترغب بالارتماء في أحضان رجل لطيف ساحر مثل جاك. ألم تفترض هي نفسها منذ قليل أنه توقف هنا ليشتري شيئاً ما لإحدى نسائه؟ إذا سمحت له بشراء الفستان لها، هل يجعلها ذلك واحدة من نسائه؟ قطعاً لا!

ابتسمت قائلة: «حسناً جاك! أنت ربحت، وشكراً لك».

www.elromancia.com

٧ - سوف يندم

٣١ كانون الأول - سفارة ميريديا

دخلت مادي إلى قاعة الرقص، يدها متأبطة ذراع جاك. الفستان الحريري الأبيض الذي وقعت بحبّه من النظرة الأولى جعلها تشعر بالفخر من نفسها. عليها الاعتراف بأن رونا محقّة بشأنه، فلحظة رآها جاك أصبح عاجزاً عن الكلام، وهي غير واثقة لما تهتم لذلك كثيراً.

نظرت مادي إلى جاك وقالت: «أشعر كأنني سندريلا في هذه الحفلة. اقرصني جاك لأعرف أنني لست في حلم».

غمر يدها الباردة بيده الدافئة وقال: «أنتِ لست تحلمين، أيتها الأميرة».

بدا جاك قريباً جداً منها وودوداً إلى حد بعيد. وهذا يعني لها الكثير، لا سيّما أنه لم يكن متحمساً أصلاً للمجيء إلى هنا. ليس من الحكمة الإسهاب في تفسير ذلك، لكنه جاء لأنها هي أرادت ذلك، وفاجأها بهذا الفستان. ولّدت تلك الفكرة توهجاً في داخلها.

- إذاً، إذا كنت أنا سندريلا، هذا يجعلك... ماذا؟ الأمير الساحر؟

- ربما، إذا ناسبني التاج...

ابتسامته العريضة المفاجئة والمذهلة، وصلت مباشرة إلى رأسها بثبات، فجاء تأثيرها كتأثير المخدر. ملابس السهرة وحقيقة أنه يبدو مذهلاً جعلتها تشعر بالامتنان بالتأكيد.

قالت مادي: «شكراً لك لأنك أحضرتني إلى هنا الليلة».

- على الرحب والسعة.

توقعت مادي إجابة لاذعة تضايقها، لذا بدت مسرورة ومتفاجئة حين لم يحصل ذلك، وهذا يظهر أنه يتصرف بصورة رائعة. هذا شيء جديد بالنسبة إلى مادي.

- إذاً هل ندخل في صفّ الاستقبال؟

أجابها جاك ولم يبدُ على وجهه أنه سعيد باقتراحها: «هل علينا القيام بذلك؟».

- إنها الملكة الآن. أنا متأكدة أن هناك قواعد يجب اتباعها... شيء ما أنت لست جيداً بتطبيقه.

أمّا هي، فلا شك أنها امرأة مجنونة لأن هذا الرجل الذي يبدو مستعداً دائماً لمخالفة القواعد يروق لها سواء كان مرتدياً ملابس سهرة أم لا. جاك ليس أميراً، لكنها رأت سحره وقاومته بنجاح. إنه الرجل الذي أصبح في لندن شخصاً مختلفاً... شخصاً يمكن أن يسبب لها الألم حقاً. لكن ما الضرر في إعطاء إجازة لحارسها لليلة واحدة فقط؟ إنهما في مكان عام. ما الذي يمكن أن يحدث؟

- أود أن أحييهما.

- بمظهرك الرائع هذا...

ظهر في عينيه استحسان ذكوري شديد الوضوح حيث انخفض نظره، ليستقر على محيط كتفيها العاريتين وتابع: «... كيف يمكنني أن أرفض لك شيئاً؟».

أحست مادي كأنها تطير في الهواء حين رافقها عبر القاعة وأخذا مكانهما في صفّ الاستقبال. انتشرت في القاعة طاولات عليها أغطية كتانية بيضاء، وقد زينت كلها بالورود والشموع. تدلّت من السقف ثريات تفطّر ضوءاً ذهبياً على أرض خشبية ملمّعة بشكل جيد لتعطي وميضاً عالياً، كما وُضعت طاولات مزينة بأزهار البونسيه أمام جدران مطلية باللون الأزرق الفاتح تتخللها نوافذ ذات إطارات مزخرفة. أما شجرة الميلاد، فقد نثرت عليها أقواس بيضاء وحمراء وأضواء بيضاء، وقد وضعت في إحدى الزوايا في قاعة

www.elromancia.com

الاستقبال. تلامست ذراعاهما بخفة حين تابعا التقدم، واستطاعت مادي الاحساس بالشرارات المنبعثة منهما. شعرت بالحرارة بشكل واضح بما أن جاك ركّز كل انتباهه عليها، ورغبت في أن تبقى في الصف معه مدى العمر. لكن أخيراً وصلا أمام إيما وسباستيان، اللذين ابتسما لهما بسرور صادق.

قالت إيما: «مادي... ! جاك... ! أنا مسرورة جداً لأنكما أتيتما».

إيما تبدو تماماً كملكة، مرتدية ثوباً من الشيفون الأسود ذا تنورة فضفاضة وكتف واحدة.

ردّ جاك يمازحها: «لطف منكِ أن تدعي الفلاحين».

أجابه سباستيان: «ولطف من الفلاحين أن يحضروا».

لكن عينيه بدتا متقدتين بالدعابة.

نظرت إيما إليه قائلة: «أخبرني ماكس أنك وافقت على النظر في مشاريعه العملية للمطاعم».

- نعم، وافقت. سأناقش الأمر معك في ما بعد. لكن بصراحة، الآن أفضّل اصطحاب مادي إلى زاوية مظلمة.

سألته مادي: «ألم تعجبك روح الدعابة عنده؟».

لكن كلام جاك عن الزاوية المظلمة حمل الكثير من الإثارة إلى حواسها.

أومأ جاك برأسه إلى الزوجين وقال: «من الذي يمزح؟ أراكما لاحقاً».

دفعها إلى الأمام واضعاً يده حول خصرها، وقربها أكثر إلى جانبه. اعتقدت مادي أنها إيماءة تملكية. لم يقم جاك بحمايتها سابقاً، ولم يصطحبها إلى زوايا مظلمة من قبل، لكنها تعتقد أنها أحبّت ذلك كثيراً. تصرّفه هذا المفعم بالحماية والاهتمام يمكن أن يسدّد ضربة خطيرة إلى قوة إرادتها. بينما وقف جاك ومادي على الخط الجانبي مع المتفرجين، اتخذ الموسيقيون أماكنهم في زاوية من القاعة مقابل شجرة الميلاد وبدأوا يعزفون الفالس.

انحنى جاك قليلاً وقال: «أتسمحين لي بهذه الرقصة أيتها الأميرة؟».

- أجل، سيدي.

ظاهرياً، راحت مادي ترقص برباطة جأش. بدت هادئة ومسيطرة على

نفسها، وهذا يعتبر معجزة لأن قلبها راح يقطع مئات الأميال في الساعة بسرعة نبضاته. تمكنت من التحرك برشاقة إلى حدّ ما، برغم الوخزات الخفيفة التي شعرت بها في مختلف أنحاء جسدها. لكنها اعتقدت أن ركبتيها ستنهاران حين غمرها بين ذراعيه.

وضعت مادي يديها على كتفيه العريضتين، وحاولت الاسترخاء واتّباع خطواته. هذا شيء آخر يحصل للمرّة الأولى؛ لم ترقص مع جاك من قبل أبداً. هل تعتبر هذه طريقة جيدة لبدء عام جديد؟ ليس إذا أرادت حماية نفسها من الأذى.

أجبرت نفسها على التحديق إلى عينيه والتفكير بشيء بريء لتقوله.

- إذاً، هل وصلت إلى قرار لمناسبة ليلة رأس السنة الجديدة؟

- أنا، بصدق، لم أعطِ ذلك أهمية كبيرة.

التوى أحد جانبي فمه وقال: «هل هناك قرار ما، تعتقدين أن عليّ اتخاذه؟».

تذكرت ما قالته شقيقته في عيد الميلاد، فأجابت: «أريد فقط أن تكون سعيداً جاك».

ظهر الذهول في عيني جاك، وقال: «توقعت أن تقولي شيئاً عن كوني رجلاً سيئاً».

- أنت قلت ذلك لا أنا.

أعجبتها فكرة أنه رجل سيء لأن ذلك يجعلها أكثر قدرة على مقاومته. لا ترغب مادي بمعرفة أنه يمكن أن يكون أكثر من ذلك.

لامس ذقنها بإصبعه ورفعها قائلاً: «ماذا عنك؟ هل من قرارات؟».

عدا الحفاظ على قلبها قطعة واحدة؟ أجابت: «النجاح المستمر».

عندها مرّ خادم قربهما حاملاً صينية عليها أكواب ملأى بالعصير. فتركها جاك ليلتقط اثنين. قدّم لها كوباً بلورياً وقال: «نخب سنوات عديدة من العمل معاً بنجاح».

لامست كوبها بكوبه قائلة: «سأشرب نخب ذلك».

قُدِّم الطعام في أطباق فضية واسعة، وصدحت الموسيقى الناعمة مضفية الحيوية على السهرة. أما جاك فبدا تواقاً ولطيفاً حين بقي بجانبها، وتظاهر أنه لم يلاحظ أياً من النساء الجميلات في القاعة. برغم أنهما ابتسما للويز التي بدت منشغلة بالاهتمام بالزوار ذوي المقام العالي. حضرت مادي بعضاً من أكثر الحفلات إثارة في نيويورك، لكنها لا تتذكر أنها عاشت أمسية أكثر أناقة أو متعة من هذه الحفلة. صحيح أن لديها شعوراً سيئاً في مكان ما من أعماقها، لكن لا علاقة للمحيط به، فهو يعود قبل كل شيء إلى مرافقها.

على غرار سندريلا، قبل أن تعرف أن منتصف الليل اقترب. عاشت مادي تلك اللحظات بسعادة وفرح. انتشر طاقم الخدم في القاعة وقدّموا أنواع العصير الفاخر والحلوى لكل شخص في القاعة، ووقف الجميع بانتظار حلول السنة الجديدة. عندما حان الوقت، عدّ كل شخص في المكان عداً تنازلياً إلى منتصف الليل.

- خمسة، أربعة، ثلاثة، إثنان، واحد!

نظر جاك إلى مادي وقال: «كل عام وأنتِ بخير، أيتها الأميرة».

- وأنت أيضاً، جاك.

أخذا جرعة من كوبي العصير قبل أن يدنو جاك من مادي ويغمرها بذراعيه. من المفترض أن يكون عناقاً سريعاً، تقليدياً، لكن لحظة اقتربا من بعضهما حدث أزيز ما بينهما أشبه بتيار كهربائي. التقى نظره بنظرها وبدت عيناه مليئتين بقوة غامضة. وضعت مادي يدها على صدره ولفّت أصابعها حول طيّة السترة الساتان. بدا عناقه آسراً، وراح قلبها يضرب بعنف موزعاً الشرارات في كل أنحاء جسمها. حين عانقها بادلته العناق، لكنها بدت غير واثقة مما يخبيء لها المستقبل.

ارتفع صدرها وهبط بسرعة، بعد أن حبست أنفاسها دون أن تشعر أنها لم تعد تستطيع أن تأخذ نفساً كافياً إلى رئتيها. عندما ابتعد عنها، أدركت مادي أنها رأت الاشتياق ممزوجاً بالتوتر في عينيه.

همس في أذنها، دون أن يشيح بنظره عنها وقال: «قمنا بواجبنا. تعالي

لنخرج من هنا».

في السيارة، وفي طريق العودة إلى الفندق، سيطر على جاك الشعور بالترقب، فراح ينتشر في داخله كالخدر. مادي فورد حركت أحاسيسه، وإدراكه لذلك جعله يكاد ينفجر. جمالها أمر يفوق الوصف، لكنها في العمل تظهر التزمت والجمود فتجعلهما حولها كحصن تحتمي خلفه.

لكن الليلة... في هذا الفستان الذي يعانق جسدها مثل بشرة ثانية، ما من شيء متزمت فيها. امتلأ جاك بالإحساس بجمالها، بصوتها ورائحتها. لو أن انجذابه إليها مرتبط بتلك الأمور فقط، من المحتمل أن يستطيع سماع الجانب العقلاني فيه، الذي يحاول تحذيره بألا يهزّ هذا المركب بالتحديد. لكن إحساسه بها نابع من داخله وذلك ما يجعله يشعر بالتشوش.

عندما أغلق باب الجناح خلفهما، استدار جاك نحوها وهمهم: «إذاً، أين كنا؟».

وصل إليها وجذبها نحوه، وسرعان ما شعر بارتجافها وسمع أنيناً في حنجرتها مما حوّل الدم في عروقه إلى نار ملتهبة. إنه يعرف النساء تماماً كما يعرف المال، ومادي تشعر بالشوق إليه تماماً كما يشعر هو بالشوق إليها.

أردف قائلاً: «الآن تذكرت».

ضمّها بين ذراعيه وعانقها بشدة، ثم راح يداعب شعرها. انبعثت ارتعاشة أخرى من الشوق في داخلها، فشعر جاك بالذهول والرضى العميق معاً، إذ أدرك أنها تشعر بالانجذاب نحوه في أعماقها. تناغم جسداهما معاً، ومالت مادي نحوه بصورة غريزية ما يدل على أنها تذوب شوقاً إلى عناقه. إلا أنها تمتمت قائلة: «جاك!».

فيما راح جاك يمسد شعرها ويتنشق عطره أضافت بصوت لاهث: «علينا التوقف، جاك».

عندما لامست يده أذنها، أحسّت بأنها ترتجف. وأخبره ارتجافها بكل ما يريد سماعه.

- هذا يكفي، جاك.

وأخيراً، طريقة توترها وليس كلماتها، اخترقت إدراكه الحسّي فاستقام ونظر إليها قائلاً: «لماذا؟».

- لا يمكننا القيام بهذا.

وضعت راحتي يديها على صدره ودفعته بعيداً عنها ببطء.

- بلى، يمكننا.

قالت بغير وضوح: «سأكون كاذبة إذا قلت إنني لم أنجذب إليك».

لم يعجبه معنى ذلك فقال: «لكن؟».

- لا يمكن لذلك أن يحدث.

- لماذا؟ نحن راشدان ولا شيء يمنعنا من تبادل العناق. أنت ترغبين بهذا العناق مثلي تماماً.

اقترب منها وغمرها من جديد واضعاً يديه حول خصرها.

أجابت مادي بكلمات ناعمة مغلفة بذلك التزمّت التافه: «أنت تريد حباً من نوع آخر».

- هذا ليس عدلاً، مادي. قولي إنني مخطىء. قولي إنك لم تستجيبي لي.

تحطّم شيء ما في عينيها الزرقاوين البلوريتين الحادّتي النظرات، وبدت جاهزة لأن تهرب. ثم قالت بصوت هش: «لا أستطيع. أنا آسفة، لكن تلك كانت غلطة».

هزّ جاك رأسه ليزيل الصوت المندفع إلى أذنيه وقال: «لم تبدُ لي كغلطة. بدوت صادقة تماماً، وقريبة جداً».

- أنا أوافقك الرأي. لكن علاقتنا مميزة، وهذا سوف يفسدها.

- كيف؟

- لا أصدق أنني مجبرة على شرح الأمر لك.

قال دون تذمر: «صدّقي ذلك».

تنهدت قائلة: «النساء مختلفات عن الرجال. نحن لا ننظر إلى العلاقة بين شخصين على أنها رياضة تنافسية. ونحن لا نقفز إلى السرير أو منه دون أن

تتأثر مشاعرنا».

- إذاً، أنا لا أعجبك؟

يا الله! الآن يبدو أشبه بمراهق في المدرسة الثانوية. الأمر ليس كما يتصوره بتاتاً.

- المسألة ليست إعجابي بك أو عدمه. أنا أقول هذا لأنك دائماً تنتقل إلى امرأة أخرى، وكل شخص في نيويورك يعرف أنك...

- كيف عرفت ذلك؟

- هذا ما تفعله دائماً، جاك. حالما تصبح المرأة جدّية قليلاً وتريد المزيد منك، ترحل بعيداً عنها.

كالعادة، هي محقة بما تقوله. لكن ذلك لم يلطّف مزاجه أو يخلّصه من شوقه إلى عناقها. أجابها: «لكن يمكن أن تكون العلاقة مسلية ما دامت مستمرة».

- وماذا يحدث حين تنتهي؟ فكر بالأمر. سيكون هناك مشاعر مجروحة، وذلك سيؤدي إلى التوتر في العمل. أنا أحبّ عملي جاك، وأعرف كيف هو الشعور بالهجر والإهمال. لا أريد درساً آخر منك. كانت الليلة ممتعة ومسلية، فلنتركها كذلك.

أحسّ جاك بأشياء كثيرة، لكن المتعة والتسلية ليست من ضمنها. شعر أن حاجته الملحة لأن يضرب بقبضته على حائط هي في أعلى القائمة.

- ما الذي يجعلك تعتقدين أن الرجال ينظرون إلى العلاقة كمنافسة؟ ومن جعلك تشعرين بالهجر والإهمال؟

إنها رمية إلى الهدف، ظهرت في عينيها نظرة أنبأته بأن مشاعرها قد جرحت، ولم يعجبه ذلك.

- حدث ذلك حين كنت في الجامعة.

نظرت إلى الأسفل للحظة وتابعت: «كنت بعيدة عن المنزل للمرّة الأولى في حياتي ووقعت بالحب. اعتقدت أنه أحبني أيضاً، وشعرت أن الوقت حان لأبيّن له كم أهتم له، فاتخذت قراري بأن أسمح له بالتقرب مني».

www.elromancia.com

- ما الذي أوقفك؟

- أحد زملائه في العصابة انزلق لسانه بالكلام، واكتشفت أنه راهن أن باستطاعته مرافقتي إلى السرير. لم أكن بالنسبة إليه سوى رهان. خلال الوقت الذي بدأنا فيه بالتقرب من بعضنا، كان يواعد امرأة أخرى. كان يخونني دون أي اعتبار لمشاعري.

رفعت يدها لتوقفه حين فتح فمه ليتكلم. وتابعت: «قبل أن تقول ذلك. حاولت مرّة ثانية. علاقة قصيرة مع رجل يبدو مخلصاً، لكنني سرعان ما أدركت أنه رجل سيء. أراد أن يستغلني من أجل غاياته. لم يحطّم قلبي فحسب، بل حطّم ثقتي أيضاً».

ارتجف فمها والتقطت زاوية شفتها السفلى بأسنانها للحظة. تغيّرت أشكال العواطف على وجهها المعبّر، من شعور بالخيانة إلى ذهول فخيبة أمل. بدا واضحاً أن الجرح وصل إلى أعماق روحها. الحاجة البدائية للحماية تحرّكت بقوة داخل جاك، وشعر برغبة في ضرب ذلك الحقير الذي سبب تلك النظرة في عيني مادي.

- المشكلة بالنسبة إليك جاك هي أن سجل رحلتك مع النساء يبرهن أن علاقاتك كلها تعتمد على الكمية بدلاً من النوعية. أنت تُرسل الورود وتعتقد أنّ هذا يحلّ المشكلة. لكن هذا ليس حلاً بالنسبة لي.

هل تعتقد مادي أنه مثل ذاك الحقير الذي وضع تلك النظرة في عينيها؟ يا الله! هي تتوقع القليل منه.

- مادي، أنا...

- ماذا هناك لتقوله أيضاً؟ يبدو واضحاً أنك لا تريد ارتباطاً دائماً. وأنا لن أرضى بشيء أقل من ذلك.

- أتعنين الزواج؟

- إنها ليست كلمة سيئة.

برّر لها السبب قائلاً: «إنه ليس ضمانة».

- ربما لا. لكن أضمن لك أنك تقوم بمحاولة فاشلة. لن تستقر مع

امرأة تحبها، لأنك لن تحب أي امرأة. كما يقولون: الثمرة تدل على الشجرة التي أنتجتها.

- وما معنى ذلك؟

- أنت مثل والدك تماماً.

عاش طيلة حياته محاولاً أن يكون مختلفاً، مناضلاً للتغلب على الحمض النووي لروبرت ثالنتين. ويبدو أن كل شخص يقوم بإخباره بأنه فشل. سئم من سماع هذا، بصورة خاصة سماعه من مادي.

- لا تقولي ذلك لي ثانية مادي، أبداً.

- اعتقدت أنك دائماً تعتمد عليّ لإخبارك الحقيقة.

- أعتمد عليك في العمل.

- عندئذٍ، نتفق.

شدت فمها متابعة: «علاقتنا يجب أن تبقى عملية على نحو تام. إذاً، حُسم الأمر. أنا متعبة جاك، سأذهب إلى الفراش».

حين استدارت وغادرت الغرفة، لاحظ جاك بشرتها الناعمة من قصّة الثوب المنخفضة على الظهر، كم تتوق يده للمسها، جسده كله يتوق إلى معانقتها. وكل ما قيل سابقاً يبرهن أنه حقير.

إنه ليس مناسباً لها، فهو يجعلها غير سعيدة، مثلما فعل والده بأمه. إنها محقة بالابتعاد عنه.

لكن شيئاً ما أخبره أنه سوف يندم على سماحه لها بالذهاب ما دام حيّاً.

٧ - ماضي الجراح!

فكرت مادي أن جاك يجب ألاّ يكتشف أبداً أنها استنفدت إرادتها في مقاومته. مضى أسبوع على ليلة رأس السنة، ولم تتمكن بعد من نسيان عناقه والمشاعر التي أثارها هذا العناق في داخلها. هي ترفض الطريقة التي جعلها فيها جاك تتشوق إلى قربه منها، وإصرارها على عدم السماح له بمعرفة ذلك يقتضي دفع ضريبة باهظة.

استعاد جاك وجهه الساحر ولم يتفوه بأي كلمة أبداً عمّا حدث تلك الليلة، لكن مادي تمكنت من الشعور بجدار خفيّ بينهما. في بعض الأحيان، عندما لا يكون منتبهاً إلى أنها تراقبه، تصبح عيناه غامضتين متسائلتين وذات نظرة معذّبة، وتتساءل مادي بما يفكر.

أبلغها أنهما سيعملان في لندن إلى أن يقدم ماكس مشروعه العملي. وكل مساء راح يصطحبها لرؤية أيّ من الأماكن السياحية التي تريد.

كل ما كانت تريده مادي هو إعادة العلاقة العملية المُطمئنة التي تشاركتها مع جاك. ولكم تمنت لو أنها تعود إلى تلك اللحظة، حين سألها جاك بأن تأتي معه في هذه الرحلة. هذه المرة سترفض بلا شك، لأنه يبدو مختلفاً هنا. وهي مختلفة أيضاً. هي أيضاً بادلته العناق ورغبت بالمزيد منه.

منذ تلك الليلة فكّرت مادي كثيراً بالأمر، وأدركت أنه لم يصطحبها إلى حفلة السفارة ليكون لطيفاً. برغم أن شراء ذاك الثوب الفائق الجمال شيء لطيف بلا ريب، لكن لا علاقة له بغايته. حضور الحفلة يعني أنه راغب بأن يمدّ يده لشقيقته، لعائلته، وعلى الأرجح أنه لم يدرك ذلك حتى الآن. الاختلاف في شخصيته له علاقة بماضيه، ذلك الجزء من حياته الذي لم

يتكلم عنه أبداً. ربما إذا...

حين رنّ جرس الهاتف، وضعت مادي الملف الذي لم تفتحه بعد، والذي كانت تنوي مراجعته على الطاولة، ونهضت لتجيب: «نعم!».

- مادي، أنا إيما.

نظرت إلى باب غرفة جاك المقفل وقالت: «إيما، سأصلك بجاك. إنه يقوم باتصال هام. لكن سأ...».

- لا تزعجيه، بما أنني وجدتك...

تابعت إيما: «أنا فقط أردت أن أقول إنني آمل أن تكونا قد تمتعتما بزيارة السفارة، وقضيتما وقتاً جيداً في الحفلة. أنتِ وجاك اختفيتما فجأة، فلم تتسنى لنا الفرصة لتوديعكما».

تورّدت وجنتا مادي فجأة. فقواعد التشريفات هي آخر شيء فكرت فيه بعد معانقة جاك.

- كانت... لم أحضر مثل... لن أنسى تلك الحفلة أبداً.

أخيراً، استطاعت قول ذلك. إنها الحقيقة. لن تنسى في حياتها ذلك العناق المثير الذي قلب كيانها وغيّر الكثير بينها وبين جاك. لسوء الحظ، لقد تغيّر كل شيء مع جاك، وبات عليها أن تخوض معركة عسيرة لإنقاذ العلاقة المهنية السابقة بينهما.

سألتها إيما وقد بدا القلق في صوتها: «هل كل شيء على ما يرام، مادي؟ هل حدث شيء ما؟».

أرادت أن تقول: آه! أجل. لكنها إن فعلت فسوف تضطر إلى أن تزودها بالتفاصيل فردّت منقذة نفسها: «ليس تماماً».

- الموضوع يخص جاك. أليس كذلك؟

تبع ذلك توقف قصير على الجانب الآخر من الخط قبل أن تقول إيما: «دعيني أحدّد السؤال أكثر. هل أنتِ مغرمة بشقيقي؟».

- يا للسماء! لا.

أُسِلّت مادي بصدق أن تكون هذه الحقيقة وتابعت: «إيما، أعرف أنكِ

تحاولين أن تكوني لطيفة، لكن جاك لا يتعهد بشيء وهذا ما أريده أنا».

– أنا آسفة. أبدو متطفلة، لكن...

أضافت إيما: «عليكِ أن تعرفي أن السنوات الماضية كانت صعبة بالنسبة لجاك ولي. كوني صبورة معه، مادي. أظن أنه يستحق العناء».

– إنه لن يتغير.

– أنا آسفة لأنك تشعرين بهذا.

توقفت إيما عن الكلام للحظة قبل أن تتابع: «اسدي لي خدمة، مادي، أتستطيعين؟ أخبري جاك أنني تحدثت إلى أمي. آه! كان علي القيام بذلك من قبل، على أي حال، لقد أخبرتني بما فعله جاك لأجلها منذ اثنتي عشرة سنة».

– و...؟

– أنتِ تعرفين ما عليك القيام به. إلى اللقاء. سررت جداً بالتعرف إليك.

قبل أن تستطيع مادي قول شيء آخر، أنهت إيما الاتصال. بعدئذٍ، فُتح باب غرفة النوم وظهر جاك. بدا شعره غير مرتب. كأنه مرّر أصابعه من خلاله مرات عديدة، وقد ارتدى بنطلون جينز وكنزة صوفية غير رسميّين، فتسارعت دقات قلبها عند رؤيته.

سألها: «من كان على الهاتف؟».

– إنها شقيقتك، ولم ترغب في إزعاجك. هي وسباستيان عائدان إلى وطنهما، واتصلت كي تودعنا.

عبسَ قائلاً: «آه! فهمت. يبدو هذا جيداً إلى حدّ ما. لكن لماذا تبدين بهذا الذهول؟».

استعادت مادي ما قالته شقيقته، وهي تتفحص بدقة ملامح وجه جاك. تعبير التوتر الذي ظهر على وجهه دفع كل وتر في جسدها إلى التيقظ. ما الذي يجعله يبدو كأنه خسر كل شيء، وكأن ليس لديه أحد بجانبه؟ بل كأن حياته فارغة من أي معنى؟ اعتصر قلبها بألم شديد جعلها ترغب في إصلاح

الأمر مهما كلفها ذلك. أرادت أن تحتضنه مرّة ثانية.

لكن... يمكن لذلك أن يؤدي بها إلى مكان آخر، مكان لا تستطيع تحمل الذهاب إليه. في تلك اللحظة تذكرت مكاناً آخر ذا أهمية كبرى. إيما محقّة فهي تعرف ماذا تفعل.

سألت جاك: «إذاً، هل الطقس بارد في دبلن في هذا الوقت من السنة؟».

– لماذا؟

حدّقت مادي إلى تعابير وجهه العنيدة للحظات عدّة. إن ماضيه يزعجه. مشكلاته مع عائلته تبرز على السطح، وهي لا تستطيع تجاهل مدى شعوره بالاستياء من ذلك في أعماقه. إذا تمكن من حلّ هذه المشكلة، مهما كانت، ربما يمكنهما أن يعودا إلى تلك العلاقة المهنية الجيدة التي تمتعا بها، كرئيس ومساعدته. تلك العلاقة أبقته على مسافة ما منها، فلم يتجاوزها. لم يحاول يوماً من قبل أن يعانقها أو يتقرب منها.

– الطقس في دبلن يهمني كثيراً، لأنني أريد أن أعرف ماذا أرتدي عندما نقوم بزيارة والدتك جاك.

***

لم يبدُ جاك واثقاً كيف تدبرت مادي أمر التعامل معه لإقناعه، لكنه واثق أنها لم تستعمل إغرائها، ومع ذلك ها هو هنا في إيرلندا. اتصل بوالدته وهي بانتظارهما.

بعد أن وصلا إلى دبلن، استأجر جاك سيارة وسائقاً وانطلقا صعوداً على الطريق الطويلة نحو مكان إقامة كائي. بعد مسيرة خمسة عشرة دقيقة من المدينة بدأ البيت يظهر لهما.

أطلت قبالتهما مجموعة من الزرائب المسيجة بسياج أبيض موزعة على التلال الخضراء الرابضة بهدوء، حيث ينتشر عدد من الأحصنة المتكاسلة التي ترعى العشب برفق. هدوء المكان الريفي جعله يشعر بالقلق.

www.elromancia.com

تحاولين أن تكوني لطيفة، لكن جاك لا يتعهد بشيء وهذا ما أريده أنا».

- أنا آسفة. أبدو متطفلة، لكن...

أضافت إيما: «عليكِ أن تعرفي أن السنوات الماضية كانت صعبة بالنسبة لجاك ولي. كوني صبورة معه، مادي. أظن أنه يستحق العناء».

- إنه لن يتغير.

- أنا آسفة لأنك تشعرين بهذا.

توقفت إيما عن الكلام للحظة قبل أن تتابع: «اسدي لي خدمة، مادي، أتستطيعين؟ أخبري جاك أنني تحدثت إلى أمي. آه! كان علي القيام بذلك من قبل، على أي حال، لقد أخبرتني بما فعله جاك لأجلها منذ اثنتي عشرة سنة».

- و...؟

- أنتِ تعرفين ما عليك القيام به. إلى اللقاء. سررت جداً بالتعرف إليك.

قبل أن تستطيع مادي قول شيء آخر، أنهت إيما الاتصال. بعدئذٍ، فُتح باب غرفة النوم وظهر جاك. بدا شعره غير مرتب. كأنه مرّر أصابعه من خلاله مرات عديدة، وقد ارتدى بنطلون جينز وكنزة صوفية غير رسميّين، فتسارعت دقات قلبها عند رؤيته.

سألها: «من كان على الهاتف؟».

- إنها شقيقتك، ولم ترغب في إزعاجك. هي وسباستيان عائدان إلى وطنهما، واتصلت كي تودعنا.

عبسَ قائلاً: «آه! فهمت. يبدو هذا جيداً إلى حدّ ما. لكن لماذا تبدين بهذا الذهول؟».

استعادت مادي ما قالته شقيقته، وهي تتفحص بدقة ملامح وجه جاك. تعبير التوتر الذي ظهر على وجهه دفع كل وتر في جسدها إلى التيقظ. ما الذي يجعله يبدو كأنه خسر كل شيء، وكأن ليس لديه أحد بجانبه؟ بل كأن حياته فارغة من أي معنى؟ اعتصر قلبها بألم شديد جعلها ترغب في إصلاح

الأمر مهما كلفها ذلك. أرادت أن تحتضنه مرّة ثانية.

لكن... يمكن لذلك أن يؤدي بها إلى مكان آخر، مكان لا تستطيع تحمل الذهاب إليه. في تلك اللحظة تذكرت مكاناً آخر ذا أهمية كبرى. إيما محقّة فهي تعرف ماذا تفعل.

سألت جاك: «إذاً، هل الطقس بارد في دبلن في هذا الوقت من السنة؟».

- لماذا؟

حدّقت مادي إلى تعابير وجهه العنيدة للحظات عدّة. إن ماضيه يزعجه. مشكلاته مع عائلته تبرز على السطح، وهي لا تستطيع تجاهل مدى شعوره بالاستياء من ذلك في أعماقه. إذا تمكن من حلّ هذه المشكلة، مهما كانت، ربما يمكنهما أن يعودا إلى تلك العلاقة المهنية الجيدة التي تمتعا بها، كرئيس ومساعدته. تلك العلاقة أبقته على مسافة ما منها، فلم يتجاوزها. لم يحاول يوماً من قبل أن يعانقها أو يتقرب منها.

- الطقس في دبلن يهمني كثيراً، لأنني أريد أن أعرف ماذا أرتدي عندما نقوم بزيارة والدتك جاك.

***

لم يبدُ جاك واثقاً كيف تدبرت مادي أمر التعامل معه لإقناعه، لكنه واثق أنها لم تستعمل إغرائها، ومع ذلك ها هو هنا في إيرلندا. اتصل بوالدته وهي بانتظارهما.

بعد أن وصلا إلى دبلن، استأجر جاك سيارة وسائقاً وانطلقا صعوداً على الطريق الطويلة نحو مكان إقامة كاثي. بعد مسيرة خمسة عشرة دقيقة من المدينة بدأ البيت يظهر لهما.

أطلت قبالتهما مجموعة من الزرائب المسيجة بسياج أبيض موزعة على التلال الخضراء الرابضة بهدوء، حيث ينتشر عدد من الأحصنة المتكاسلة التي ترعى العشب برفق. هدوء المكان الريفي جعله يشعر بالقلق.

www.elromancia.com

بدا منزل عائلة كاي أوبرين ثالثتين متواضعاً. إنه بناء من طبقتين وسط وادٍ مسطح، وهو مكان هادىء يتميز بالسكون، لكنه مختلف تماماً عمّا يتذكره جاك عن والدته. كانت والدته عصبية المزاج، غير مستقرة، تعوزها العاطفة، هكذا يمكن وصفها بشكل أفضل. إذا كان يشبه والدته، كما قال والده، ماذا يجعل منه ذلك؟

عاودته ذكريات طفولته. يمكنه تذكرها وهي تقول له بوضوح إنها تريده أن يسلك سلوكاً حسناً، فيكون هادئاً، ويستمع إليها وإلا فإن والده سيجعله يستمع. سلك جاك سلوكاً حسناً، وعمل بجهد أكثر من السابق، بعد أن استمع إلى والده وهو يقول إن جهنم ستتجمد قبل أن يستطيع الحصول على فرصة ثانية ليصل إلى بيلا لوتشيا. كان ماكس محقاً! وضع القدر بين يديه الوسائل القصوى للانتقام.

جلست مادي بصمت إلى جانبه في السيارة. نظر إليها نظرة سريعة ورأى هيئة كتفيها الصلبة، والتوتر في الخط الرقيق لفكّها.

سألها: «أنتِ لست متوترة بشأن هذه المقابلة، أليس كذلك؟».

- لا!

لوّحت بيدها رافضة، ثم شبكت يديها بإحكام في حضنها وتابعت: «هل أنت متوتر؟».

أجاب وكأنه يريد أن ينهي الأمر: «بالطبع لا».

بعد أن توقف السائق أمام المنزل، ترجل جاك من السيارة وأمسك الباب لمادي. أثناء انتظاره سمع أصواتاً وضحكاً. رأى ثنائياً، رجلاً وامرأة، يسيران جنباً إلى جنب بالقرب من المنزل، ويحتضن كل منهما الآخر على الخصر.

بدا شعر والدته الأشقر كما يتذكره، طويلاً ومتموجاً. ما زالت ممتلئة الجسم. ترتدي بنطلون جينز وكنزة سميكة فضفاضة من اللون الأخضر الزيتوني. لكن ابتسامتها جعلتها تبدو أصغر إلى حدّ ما، وهي تنظر إلى الرجل الطويل ذي الشعر الأسود والعينين الزرقاوين الذي يبتسم لها. أهذا

ما يسمونه الحب؟

تصاعد حذر جاك فوراً، عندما رأته كاي. نظرت إلى مرافقها الذي منحها كما يبدو إيماءة تشجيع، تبعها عناق مشجع. توقف كلاهما على الممر المرصوف بالحصى أمام جاك.

تفحصت كاي وجهه قائلة: «المرّة الأخيرة التي رأيتك فيها، كنت مجرّد صبي. لقد أصبحت رجلاً جاك».

- مرحباً، أمي.

- إنه لأمر رائع أن أراك مجدداً. تبدو بصحة جيدة، ووسيماً جداً.

لم تبدُ اللهجة الإيرلندية واضحة في صوتها. رفعت يدها كأنها تريد الوصول إليه، ثم أنزلتها. حين نظرت إلى مادي، انسلت ومضة تساؤل إلى عينيها الزرقاوين الفاتحتين، فسألت: «من هذه؟ أهي زوجتك؟».

رقّت شفتا مادي للحظة حين مدّت يدها قائلة: «ماديسون فورد... مادي. أنا مساعدة جاك».

نظر جاك إلى الرجل الغريب الطويل وقال: «والآن جاء دورك».

- أيدان فولي.

نبرة صوت الرجل العميقة لم تبدُ واضحة اللهجة، لم تنبىء إن كان إيرلندياً أم لا. أضاف: «والدتك وأنا...».

- صديقان!

قاطعته كاي واضعة يدها على ذراعه، وأضافت: «أرجوك تفضّل جاك، تفضلي مادي. سأعد إبريقاً من الشاي. يمكننا تناوله بسرعة».

قالت مادي: «إننا نرغب في ذلك. أليس كذلك جاك؟».

لكزته مادي بمرفقها.

أجاب جاك، فيما ضاق نظره وهو يتفحص الرجل الواقف بجانب والدته: «أجل، نرغب في معرفة ما يشغلك».

دخلا إلى المنزل، ولاحظ جاك أنه مريح وعابق بالدفء العائلي، وليس مبهرجاً كالمنزل الذي عاشت فيه مع والده. صوره وصور شقيقته إيما متناثرة

على الطاولات ومعلقة على الجدران. بطانية ملونة بألوان مشرقة تتدلى على ظهر الأريكة المغطاة بالأزهار، ونظارات للقراءة موضوعة بلا مبالاة على كتاب مقلوب على الطاولة.

في المطبخ، حرّك أيدان الجمرات المكومة في الموقد لتتدلع النار، قبل إضافة بعض الأغصان اليابسة. دعتهما كاثي للجلوس إلى طاولة من خشب الصنوبر، ثم بدأ بتحضير الشاي معاً. صديقها المخلص ساعدها في ما يبدو بوضوح أنه رقصة مألوفة حميمة، حركاتهما تظهر أنهما كثيراً ما يقومان بإعداد الشاي معاً.

راحا يبتسمان لبعضهما حين تتلامس أيديهما، ويحدث مس رفيق بين جسديهما. بدا واضحاً أن علاقتهما طويلة الأمد، وفهم ذلك ولّد غضباً غير معقول داخل جاك.

راح يراقب المشهد بدقة، وحين استند إلى الوراء، كتّف يديه على صدره، وانحنى على المنضدة. سكبت كاثي الشاي من الإبريق، ثم وضعت الأكواب التي يتصاعد منها البخار أمام جاك ومادي.

- هذا سيطرد البرد.

قالت ذلك مبتسمة بإشراق، وكأنها مصمّمة على تجاهل الإرباك.

أجابت مادي وهي تلف يديها حول الكوب: «شكراً لك».

- كم مرّ على ذلك؟ اثنتا عشرة سنة؟

وضع جاك ذراعيه على الطاولة ونظر نظرة خاطفة إلى حبيب والدته من دون اهتمام. تصاعد التوتر في الهواء حين تابع: «إذاً، كيف كانت تلك السنوات، أمي؟».

بسرعة، اختفى أيدان اللامبالي اللين، حين مشى ووقف بجانب كاثي وشدها نحوه قائلاً: «أنت ضيف جاك وابن كاثي. لكن حين تكلم والدتك عليك التحلّي ببعض الاحترام، كي لا أجد نفسي مضطراً إلى أن أطلب منك مغادرة المنزل».

وقف جاك وواجههما معاً: «أود أن أعرف من أنت بالنسبة إلى أمي».

التقى نظر أيدان بنظره دون إجفال: «أنا الرجل الذي يحبّها».

تقدم جاك منه خطوة وقال بنبرة حادة: «وكذلك أنا».

أقحمت كاثي نفسها بينهما قائلة لأيدان: «لِمَ لا تصطحب مادي إلى الاسطبل وتريها الأحصنة بينما نتكلم أنا وجاك؟».

- لن أتركك وحدك معه، وهو في مزاج...

ابتسمت كاثي وقالت: «لا بأس، هذا الحديث تأخر لوقت طويل».

تردد أيدان، ثم قال مجبراً نفسه على الابتسام: «إذا كان هذا ما تريدينه، حبيبتي».

وقفت مادي، ووضعت يدها على ذراع جاك، ثم نظرت إلى والدته قائلة: «أعتقد أنني سأبقى مع جاك».

نظرت إليها كاثي وكأنها تأخذ قياسها، ثم أومأت في النهاية: «إذاً، هذا جيد».

عندما ذهب حبيب والدته، سألها جاك: «هل يعاملك بشكل جيد؟».

ابتسمت كاثي بلطف وأجابت: «أتعني أيدان؟ آه! أجل».

- هل أنتما متزوجان!

- طلب مني الزواج عدّة مرات ورفضت.

سألت مادي بلطف: «لماذا؟».

أمسكت كاثي بظهر الكرسي وقالت: «أتريدان الحقيقة؟ أنا تزوجت والد جاك لأنني كنت حاملاً بجاك، وأجبرت على ذلك. لكنني الآن مع أيدان لأنني أحبه، وليس لأي سبب آخر».

- تقول مادي إن الزواج هو القدرة على الالتزام.

اعترضت مادي: «أنا قلت إنه الشيء المناسب بالنسبة لي. أنا لا أحكم على أي شخص آخر».

ابتسمت كاثي قائلة: «لا شك أنها فتاة واعية. يقول أيدان إنه يحبني، ويظهر الكثير من الحب في كل شيء يقوم به. هذا هو الالتزام الذي أنا بحاجة إليه».

www.elromancia.com

- يبدو أصغر سناً.

أشار جاك إلى ذلك وهو ليس واثقاً لما يبدو الأمر مهماً بالنسبة له.

- إنه كذلك، أجل. وهو يجعلني أشعر أنني ما زلت شابة. إنه يحترمني ويحترم آرائي. كما أنه يساعدني لأكتشف نفسي وقدراتي بصورة جيدة.

مسّت كلماتها شعور جاك ولم يعرف السبب. سألها: «ماذا عن نوباتك العصبية؟».

- جاك...!

وضعت مادي يدها على ذراعه مرة أخرى وجعلته لمستها يخفل لكن سبق للكلمات أن خرجت من فمه. رفض أن يشعر بأنه يتصرف بأنانية أو وقاحة رغم أن سؤاله الفظ حوّل وجنتي كاثي إلى اللون الزهري الجميل.

رفعت ذقنها والتقى نظرها بنظره مباشرة، وقالت: «أنت جريء وواثق من نفسك جاك. لطالما كنت كذلك، رغم أنك لن تفهم. لكنني سأخبرك لأنك سألت. تلك النوبات العصبية في تلك الأيام لم تكن سوى وسيلة دفاعية تساعدني على التأقلم. منذ أصبحت في الحادية والعشرين من عمري وجدت نفسي غارقة بسبب متطلبات كوني أماً. كنت أعيش في ظل حب زوجي لامرأة أخرى».

تمتم جاك: «بل أكثر من واحدة».

- أجل.

زمّت كاثي فمها قليلاً وتابعت: «لكن كانت هناك واحدة فقط أحبها: «ديانا».

عرف جاك بأمرها، إنها زوجة والده الثانية. فهو لديه أختان غير شقيقتين، ريتشل وريبيكا، ربّتهما والدتهما في الولايات المتحدة.

- عندما توفيت...

تابعت كاثي: «أخبرني روبرت أنه لن يستطيع أن يحب امرأة أخرى كما أحبها. يومها انتابني شعور بالغضب و... فعلت ما فعلت... في بيلا لوتشيا، حصل ذلك يوم تسلّمت أوراق الطلاق. شعرت أنني أخسر زوجي

وليس هناك شيء أستطيع القيام به».

هذه ليست تلك المرأة الضعيفة نفسها التي توسلت إليه ألا يخبر روبرت بما فعلته. هذه المرأة لا تريده أن يحميها. لديها أيدان، رغم أن جاك يفترض أنها ليست بحاجة إليه هو الآخر.

قال جاك وقد أثر الاستياء في صوته: «لقد تغيّرتِ».

أجابت بابتسامة بدت حزينة واعتذارية: «أجل، تغيرت. آمل أنني تغيرت إلى الأحسن».

سألتها مادي بلطف: «هل أخبرتِ إيما بما حدث؟».

- نعم. أخبرتها أن جاك قام بحمايتي.

أومأت كاثي برأسها أثناء التقاء نظرها بنظر جاك. بدا عليها الارتباك وتابعت: «أعرف أنك وعدتني بأن تحفظ سرّي، لكنني سوف أكره نفسي دائماً لأنني طلبت ذلك منك. أنا والدتك، أنا من كان عليّ أن أحميك».

- أجل.

- جاك، أنا لا أعرف ما حدث بينكما...

قالت مادي بصوت انتقادي لطيف وتابعت: «... ولا أريد معرفة التفاصيل، لكن والدتك تحاول الاعتذار».

- لا بأس، مادي.

تنهدت كاثي وقالت: «له كل الحق بأن يغضب. دفع جاك ثمناً باهظاً».

صحيح! فهي قد حكمت عليه بالعقوبة، فكّر جاك. هي خسرت زوجها في تلك الليلة، لكن جاك خسر عائلته... خسر كل شيء...

ظهرت نظرة في عيني والدته تلتمس تفهمه، وقالت: «والدك ليس رجلاً سيئاً، إنه مخطيء فقط. لم يستطع أن يحبني، ولا أعتقد أنني كنت أحبه أيضاً. بأي حال، لم يتمكن من إسعادي».

الآن بعد أن عرفت معنى السعادة... تذكر جاك كلمات إيما.

- ما حدث بين والدك وبيني ليس له علاقة بما يشعر به تجاهكما أنتَ وإيما. لطالما أحب روبرت أولاده إلى حد العبادة، لا سيما أنت جاك. كان

www.elromancia.com

يعتقد أن الشمس تشرق وتغيب من جبينك.

قال جاك: «لديه طريقة مضحكة في إظهار ذلك».

- أنا ساحته بنيّ. حان الوقت لتساعه أنت أيضاً.

أخذت مادي يده في كلتي يديها، وأجبرته على النظر إليها وقالت: «والدتك محقة، جاك. الماضي يؤثر باستمرار على حاضرك، ويسلب منك المستقبل. أنت بحاجة إلى التخلص منه حتى تتمكن من التقدم».

التقدم؟! أحسّ جاك كما لو أنه تُرك في الصحراء لمدة اثنتي عشرة سنة، وقد أُنقذ للتو فقط ليعرف أن كل شخص يهتم لأمره تقدّم ما عداه. والدته سعيدة وتعيش بسلام، وحتى الآن هو غاضب ومستاء. أي نوع من الأولاد هو؟ أي نوع من الرجال؟

نظر إلى عيني مادي المليئتين بالثقة. مادي الجميلة، مادي الحسّاسة العنيدة. شعر أنه حقير وأناني لأنه أقحمها في هذه المشكلة. أقل شيء يمكنه القيام به هو حمايتها من نفسه.

٨ - غداً ننسى

ترك جاك مادي وحيدة من دون أي وسيلة تمكنها من الرحيل. في الواقع، لم تكن وحيدة تماماً، كما اعترفت مادي. أوصلها أيدان إلى الفندق. لكن ماذا حدث لجاك؟ على الرغم من أخطائه الكثيرة، لكن تركها دون أي تفسير ليس من عاداته، وهي قلقة حقاً عليه.

دخلت إلى باحة الفندق مسرعة، وضغطت على الزر لتستدعي المصعد. حين لم تُفتح الأبواب فوراً، لكمته عدة مرات أخرى وتذمرت قائلة: «مصعد أحمق!».

بدت والدة جاك قلقة أيضاً، وقالت إن له كل الحق ليغضب، إن الخطأ كان خطأها بالكامل. لكن حين ضغطت عليها مادي لتخبرها بالتفاصيل، أخبرتها كاتي بحزم أن عليها أن تسأل جاك.

- اللعنة! هذا صحيح. سوف أسأله.

لكمت الزر مرة ثانية لتستدعي المصعد الذي سيأخذها إلى الجناح متظاهرة بأنه لم يتركها وحدها غريبة في إيرلندا وفي ضواحي دبلن أيضاً.

انعقد الخوف في داخلها. رأت رفضه لأيدان ينبعث بوضوح من داخله، لكنها لم تفهم ما الذي سبب هذا الموقف. تطلّق والداه منذ سنوات عدّة، ما يشرح سبب عدم رغبة جاك بأي التزام في حياته. لكن يمكن لأي شخص أن يلاحظ كم تبدو كاتي سعيدة، وأن وضع خاتم في إصبعها لن يغيّر الأمر كثيراً. إذاً، ما هي مشكلة جاك؟

أخيراً فتحت أبواب المصعد، فقالت مادي: «الحمد لله».

عندما وصل إلى الطابق العلوي، سارت بسرعة في الردهة لتصل إلى

www.elromancia.com

الجناح. فتحت الباب، ثم دخلت وأضاءت النور. توقفت فجأة حين اختفت الظلال ورأت جاك جالساً على الأريكة المزدوجة. هل أمضى هذا الوقت كله جالساً وحده في الظلام؟

رمت معطفها وحفظتها على الكرسي قائلة: «بدا ذلك فظاً، جاك! لِمَ رحلت بهذه الطريقة؟».

مبنى الفندق وطريقة تصميمه لا تختلفان عن جناحهما في لندن، باستثناء الزاوية التي وضعت فيها الموقد. كانت النار المضطرمة تفرقع فيها بقوة، لكن جاك لم ينتبه لوجودها حتى الآن.

قالت مادي واضعة يديها على خصرها ومحدقة إليه: «جاك!».

رأت على الطاولة أمامه كوباً كبيراً من القهوة الساخنة لم يمسّ بعد.

- لماذا تركتني، جاك؟

- كان عليّ مغادرة ذاك المكان.

- لماذا؟

رفع كوب القهوة وأداره متفحصاً السائل الأسود اللون كما لو أنه علاج لمرض مروّع.

ما كان من قبل اضطراباً تحوّل إلى قلق كامل. فسألته مادي: «جاك، هل أنت على ما يرام؟».

- لا أعتقد!

جاك الذي تعرفه لن يعترف بذلك أبداً. هذا الرجل المليء بالأسرار وصل إلى أعماقها واختطف قلبها. جلست مادي إلى جانبه، لمست جبينه تتحسّس حرارته. ثم نظرت في عينيه ولاحظت روحه المجروحة.

- ما بك جاك؟

- كنتِ محقة بما قلتِ عني، مادي. أنا شخص حقير.

احتجت مادي: «أنا لم أقل ذلك أبداً».

أدار رأسه فالتقى نظره بنظرها مولداً سحراً قوياً، وقال: «قلتِ إنني أشبه والدي. إنه الشيء نفسه».

قالت مادي ذلك في لحظة غضب وارتباك، في محاولتها لحفظ الذات. كانت بحاجة لأن تبعده عنها. لكن هذا ليس الوقت المناسب على الأرجح لتقول له إن والده يملك صفات إيجابية كثيرة.

- أنتَ رجل طيّب.

- أرأيتِ؟ هنا أنتِ مخطئة. رؤية والدتي سعيدة جعلتني أشعر بالسوء. إن لم تكن تلك حقارة، فأنا بحاجة إلى البحث عن معنى هذه الكلمة.

- ما الذي دفعك للمغادرة منذ اثنتي عشرة سنة، جاك؟

لم يقل شيئاً، رغم أن النظرة التي حوّلها إليها بدت غامضة. يائسة وخطيرة، لكنها مصمّمة.

وضعت يديها على حضنها وقالت: «منذ أن وصلنا إلى هنا ليلة عيد الميلاد، والكلام يدور حول هذه المسألة. مهما تكن هذه المسألة، يمكنك إخباري عنها لأنني لن أتركك قبل أن تخبرني».

حدّق إليها بصمت...

وضع كوب القهوة الساخن على الطاولة دون أن يشرب وقال: «كنت أضايق والدي على نحو متواصل كي يسلمني بعض المسؤوليات في بيلا لوتشيا. ويومها كان هناك حدث كبير، ذو أهمية اجتماعية، إنه حفل زواج ابنة أحد السياسيين».

نظر أمامه، وبدا صوته رتيباً، ما يدل على أنه بالكاد يستطيع ضبط عواطفه. تابع يقول: «انتشرت الإنفلونزا بقوة ومرض بعض أفراد طاقم المطعم. كان أبي محبطاً، لكنه أعطاني فرصة لأثبت نفسي».

توقف عن الكلام، واستطاعت مادي تقريباً رؤية الذكريات تدور في ذهنه. زمّ فمه بإحكام، فأرادت مادي قول شيء ما لتشجعه، لكنها خافت أن تتدخل لئلا تقطع تفكيره.

تابع جاك: «كنت مركّزاً على عملي ومسيطراً على كل شيء، حُضّر الطعام بعناية، وكذلك المشروب، وقالب حلوى الزفاف ينتظر...».

وضعت يدها على ذراعه لتشجعه وتدعمه، لكنها لم تقل شيئاً.

www.elromancia.com

- يوم الاحتفال وصلتُ إلى المطعم في الصباح الباكر للمضي في خطة عملي والتأكد بأن كل شيء جاهز مئة بالمئة، كي لا أترك فرصة لحدوث أي شيء مفاجيء. لكن الصدفة تخدع أحياناً.

سألته مادي بلطف: «ماذا؟».

- كانت أمي هناك في حالة من الإغماء. كانت قد حضرت إلى المطعم وهي في ثورة إحدى نوباتها العصبية لأنها غاضبة من والدي بسبب الطلاق. اندفعت لتخرب كل شيء، بدا المطبخ في فوضى عارمة، الطعام ملقى على الأرض، وقالب الحلوى...

- آه، جاك!

هزت مادي رأسها، واعتصر قلبها شفقة على ذاك الشاب المتلهف، الطموح. وتابعت: «لكن لا أفهم، لماذا غضب والدك منك؟ عندما رأى أن والدتك هي من تسببت بتلك الفوضى...».

- لم يرَ ذلك أبداً. تدبرت أمر خروجها وتنظيف المكان. بدا كأن شيئاً لم يحدث... أعني لا شيء!

فكرت مادي بكلماته وربطت النقاط ببعضها متابعة: «اعتقد أن الطعام لم يُحضر أصلاً».

أكد جاك بمرارة: «بدا الأمر محزناً، وبدا من الأسهل له تصديق الأسوأ».

- لمَ لم تخبره بالحقيقة؟

- كانت أمي ضعيفة جداً، فجرح الطلاق جديد.

بدا صوته بعيداً، كأنه ما زال يرى كأي في تلك الليلة، وتابع: «لكان دمرها كلياً لو إنه اكتشف ذلك. لم أكن لأسمح بحصول ذلك».

- ماذا قال؟

بدت مادي خائفة من سماع إجابته، لكنها تعرف أن عليه إخبارها.

- إنني غير كفوء... أحمق... لا أقوم بعمل جيّد لأي شخص. وإنني لن أصل إلى شيء أبداً.

ومنذ ذلك الوقت، عمل بقلبه وروحه محاولاً إثبات أن والده على خطأ.

- آه، جاك...!

- طلب مني الخروج وهذا ما فعلته.

ولم يعد أبداً بعد أن كذب على والده لأجل هدف نبيل. تألم قلبها من أجل جاك، بسبب كل تلك السنوات التي عانى فيها من الوحدة والألم.

سألته بلطف، آملة أن يرى في نفسه ما تراه هي: «كيف تجعلك حماية والدتك حقيراً؟».

أجاب ونظراته تفيض بالألم لنفسه: «أمي تابعت حياتها، وسامحت والدي. إنها راضية مع حبيبها الآخر... لا تسيئي فهمي مادي».

اندفع واقفاً ومشى نحو النافذة، محدقاً إلى الخارج، في حين توترت عضلة في وجنته، وتابع: «لا أحد يعرف أو يفهم ضريبة العيش مع والدي. تلك الضريبة التي تقبّلتها هي أفضل مني. لكنني شعرت بالاستياء بسبب سعادتها».

والدته وجدت حباً ورفقة، بينما الابن الذي قام بحمايتها وحَفِظ سرّها أمضى حياته وحيداً. خلافاً لتوقعات والده، أصبح ناجحاً بشكل لا يصدّق. شعور بالإعجاب وبشيء أكثر عمقاً راح ينمو في داخل مادي.

آه! لا يمكنها التعامل مع ذلك الآن. المسألة الآن تخصّ جاك وحده، وهو بحاجة إليها.

وقفت مادي ومشت نحوه قائلة: «هذا فقط يجعلك إنساناً حساساً، جاك».

أجابها دون أن ينظر إليها: «سخرية القدر هي أنني حاولت أن أثبت لوالدي أنني جدير بالاحترام وفشلت».

- أنتَ مخطيء جاك. أنت قمت بحماية والدتك. أثبتَ أنك جدير بالاحترام أكثر منهما معاً.

لم يسلّم جاك بكلماتها المواسية، فأردف: «هذا كل شيء. القصة البشعة بالكامل. ألست آسفة لأنك سألتِ؟».

www.elromancia.com

– لا! لم يكن على والدتك طلب ذلك منك. لكن سأقول لك هذا ثانية لأنه مهم. أنت بحاجة لأن تسامح والدك. وإذا لم تفعل سيبقى الماضي البشع قادراً على أذيتك.

ألقت يدها على ذراعه. أحست بحاجة لأن تلمسه، آملة بأن تجعله يسمعها، ويصدّقها، ثم قالت: «أنت أنشأت شركة بملايين الدولارات من لا شيء عملياً. برأيي أنت وصلت إلى شيء ما وأكثر. حان الوقت لتتوقف عن العمل من أجل إثبات أنك جدير بالاحترام وتبدأ بالسماح لنفسك بأن تكون سعيداً».

لم يبالِ جاك بيدها وتنهّد قائلاً: «أنا متعب من هذا. أنا متعب... عمتِ مساءً، مادي».

حدّقت إلى كتفيه العريضتين عندما مشى بشكل مفاجيء إلى غرفة النوم الرئيسية. يقال إنه يمكن للمرأة أن تحكم على شخصية الرجل من طريقة معاملته لوالدته. ذُهلت من حقيقة جاك ڤالنتين، الرجل الذي افترضت أنه سطحي مثل كعكة عملاّة مسطّحة، هو رجل يتمتع بشخصية ذات أبعاد عميقة أكثر مما توقعت. قام بحماية والدته، وتحمّل الملامة بسبب أعمالها الغاضبة الانتقامية، فجاءت مكافأته النفي.

هو ليس ببساطة رجلاً ذا مظهر جيد انجذبت إليه. هو الرجل الذي وقعت في حبّه. رجل تُرك وحيداً لفترة طويلة. لن تفعل ذلك به أيضاً.

قبل أن تتمكن مادي من التفكير بالأمر حتى النهاية، وقبل أن تتوضح المسألة لها، تبعته. اقتربت من الأريكة التي جلس عليها في غرفته، وركعت بجانبه ثم غمرته بذراعيها.

جلسا هكذا لفترة طويلة قبل أن يهمس لها جاك قائلاً: «لم أخبر أحداً أبداً عن تلك الليلة، مادي».

أسندت وجهها على كتفه وأجابته: «أنا سعيدة لأنك أخبرتني».

ساد بينهما سكون وصمت عميقين. مرت اللحظات ثم الدقائق...

استيقظ جاك من غفلته مع شعور بأن شيئاً ما ليس على ما يرام. بدءاً من حقيقة أنه ما زال جالساً على الأريكة وصولاً إلى إحساسه بثقل آخر إلى جانبه. فتح عينيه، فبدا له شعر مادي الأشقر وقد انسكب عليه شعاع من الضوء المنبعث من غرفة الجلوس، ما خلق هالة نورانية حول رأسها. كانت ما تزال مرتدية بنطلون الجينز والسترة الصوفية ويدها الصغيرة موضوعة على صدره. أخرج جاك نفساً طويلاً من صدره يحمل جزءاً واحداً من القلق، وما تبقى منه ارتياح. لم تتركه مادي. بدت رقيقة وهشة، ومناسبة تماماً له. كأنها في مكانها الطبيعي.

شدّ ذراعه حولها، وأطلق تنهيدة أخرى تعبيراً عن الاطمئنان. بدت له كأنه متصلة به على مستوى جوهري عميق، وهي تجلس في سلام هنا معه هو جاك ڤالنتين الأعزب السيء.

يبدو أنهما غطّا في النوم، بعد أن أخبرها بسرّه، وشاركها امتعاضه الذي كان عبئاً عليه طيلة تلك السنوات. الله وحده يعلم أنه أحسّ وكأن شخصاً ما سحب السِدادة عن مصدر الطاقة العاطفية عنده. ومع ذلك، هي لم تبتعد. في الواقع، لطالما دافعت مادي عنه وعن أعماله.

لم تتردد مادي يوماً في طلب مبرر منه على الأشياء السيئة التي يقوم بها هنا وهناك. مرت أوقات شعر فيها بالانزعاج منها كثيراً. لطالما بدت مزعجة جداً، وفي الواقع جعله ذلك يتساءل أكثر من مرة لما اصطحبها معه إلى لندن. لكن إخلاصها جعل هذه اللحظة أجمل، لأن الأشياء الجميلة التي قالتها عنه بدت لا تصدّق تقريباً. وهو بحاجة إليها، بحاجة إلى شخص يتحدث معه بعد رؤية والدته.

ضغط وجهه بلطف على شعرها وأخذ نفساً من رائحة عطرها المُسكِرة. تحرّكت مادي بجانبه وشعر بالحرارة تنتشر في أحشائه بسبب قربها منه. إنه يرغب حقاً في معانقتها!

التوت أصابعها على صدره وبدأت تبتعد عنه، إلا أنه غطّى يدها بيده ليبقيها في مكانها. راحت ضربات قلبه تدق بصوت هادر في أذنيه. تحركت

مادي ثانية وتمكن من الإحساس بها تنتقل من الاسترخاء التام إلى الإدراك المترنح وقالت: «جاك؟».

- أنا هنا، مادي.

صمتت للحظات عدة كأنها تفكر، أو كأنها تحاول أن تكتشف أين هي. تذكرت ما أخبرها به، فألقت بوجهها على صدره وسألته: «هل أنت بخير؟».

توقع جاك أن تبتعد حالما تفهم أين هي، لكن سؤالها عن حالته فاجأه.

- أنا بخير.

بل أكثر من ذلك، إنه ليس وحيداً! جاك، أكثر عازبي نيويورك جاذبية، وزير النساء الذي صاحب عدداً كبيراً منهن ما زال حتى الآن يشعر بالوحدة. أزعجه أنه لا يحسّ بذلك الآن.

- أشكركِ على...

لامست بإصبعها فمه لتسكته قائلة: «لا تقل ذلك. أنا سعيدة لأنني هنا. آمل أن يكون وجودي قد ساعدك».

أخذ جاك معصمها بيده وضغط يدها على فمه. تجمّد جسدها وساورها إحساس بالترقب. أغمض عينيه وهو ما يزال ممسكاً بيدها، فسمع استنشاق نفس عميق. ارتفع صدرها وهبط بسرعة، وكأنها التقطت ذلك النفس منه.

- جاك...!

بدا صوتها الهامس متهدجاً ومليئاً بالحاجة والتوق إليه حين أردفت: «جاك، عندما عانقتني تلك الليلة... أحببت ذلك كثيراً».

- لكن، لم أعتقد أنك...

- لم أستطع إفشاء السر، لأنه... حسناً، هذا لا يهم الآن. اختلفت الأمور بعد...

- هل أنتِ واثقة؟

وقبل معرفة جوابها كانت ذراعاه قد غمرتاها. هو ليس واثقاً من أي

شيء عدا أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من معانقتها.

بدت مادي تلقائية تماماً عندما اندفعت نحوه ومررت أصابعها في شعره. أما جاك فشعر كأنه يحمل النار بين ذراعيه. فتفجّر الشوق في داخله بحيث شدّها نحوه بقوة، وكأنه لا يريد أن يفلتها من بين ذراعيه أبداً.

قالت مادي بصوت أجش: «آه، جاك!».

- تبدين رائعة، مادي.

بدت كلماته مثيرة للشفقة وغير ملائمة لتصف النعومة الحريرية لبشرتها. ارتسمت ابتسامة على شفتيها حين قالت: «آه، جاك! هذا يعطيني شعوراً... جيداً».

- رغبت في معانقتك كثيراً في الأيام الماضية.

- أعرف ذلك جاك.

- لا أريد أن أضغط عليك.

أخفض رأسه ليعانقها من جديد، وأحسّ بالقشعريرة التي هزّتها. لامست رائحة عطرها أنفه، لكن صمتها حيّره. لقد أوقفته من قبل ومنعته من معانقتها خشية أن يدمّر ذلك العلاقة الطيبة بينهما.

- مادي؟

جاء صوتها منكّهاً بالعاطفة والرقة، وهي تقول: «لم يكن الأمر مناسباً من قبل. كانت لدي شكوك ولم أستطع السماح لك بمعانقتي».

أصرّ عليها قائلاً: «والآن هل زال ذلك الشك من رأسك؟».

كإجابة عن سؤاله، أمالت برأسها إلى الجانب الآخر، وقالت: «أبداً. انتظرت الرجل المناسب ولم أفكر أبداً أن تكون أنت هذا الرجل. لكن عناقنا الآن يبدو مناسباً، بل ممتازاً».

انتظرت.. الرجل المناسب.. الذي..؟! انتفض رأسه بقوة. ومع أن حرارة جسده المتقدة حثته على تجاهل الكلمات، لكنه لم يستطع. تسللت الشكوك إليه... بالتأكيد هو مخطىء.

سألها: «ألم تسمحي لأي رجل بمعانقتك من قبل؟».

www.elromancia.com

شبكت أصابعها ببعضها، وترددت للحظة قبل أن تجيبه: «لا!».

- أنت قديسة إذاً!

- إنه وصف مبالغ فيه لامرأة أرادت حماية نفسها من الألم لا أكثر.

بدت نبرتها أنيقة، لكن قابلية الجرح الكامنة تحت ذلك لم تكن خافية عليه.

لم تسمح مادي لأي رجل بمعانقتها من قبل. يا إلهي! وهو... ما الذي يفعله؟ مادي بريئة وهو يهتم لأمرها. يا الله، كم هو حقير! لن يتمكن من معاملتها بالطريقة التي يعامل فيها نساء أخريات ذوات خبرة ويبحث عن علاقة لليلة واحدة.

أخفض يديه وكأن الإحساس بجسمها قد أحرقه. ابتعد عنها وراح يفرك وجهه بيديه عندما تصارعت الحاجة والاحباط في داخله.

- جاك؟!

نظرت إليه مادي بذهول. كانت عيناها محجوبتين عنه بالظل لكنه أحسّ بالرعشة في صوتها.

- كنت محقّة مادي في ليلة رأس السنة عندما قلتِ إن عناقنا سيفسد العلاقة بيننا.

استقامت في جلستها لتواجهه قائلة: «كنت مخطئة. أنا أريدك أنت».

نظر إليها جاك ملياً. بدت فخورة جداً، جميلة جداً. وفكر أنه لن يستطيع الصمود أكثر. مادي تريد الحب والزواج، تريد شخصاً يستطيع أن يجعلها سعيدة. إنها لا تريد عناقاً سخيفاً أو علاقة عابرة مع أي رجل. هذا أمر مميز، بل إنها هي مميزة. إن جعلها تتعلق به فسوف تكرهه لاحقاً. وهو ليس متأكداً إن كان يستطيع تحمل كرهها له. وإذا لم تغادر، فهو ليس واثقاً من إمكانية منع نفسه.

- إنه شيء عظيم مادي، رؤية لندن برفقتك. الضحك وإنفاق المال عليكِ.

- لكن... الأشياء التي قلتها...

- عنيت كل شيء.

أراد أن يقول وأكثر، ثم تابع: «كان الأمر ممتعاً... أنتِ رائعة! ولا أريدك أن تسيئي فهمي، لكن قيام علاقة عاطفية سيعقّد الأمور».

عادت النظرة التي تدل على جرح الشعور إلى عينيها فسألته: «ألأنني قلت لك إنني لم أسمح لرجل بمعانقتي سابقاً؟».

- السبب هو أن ما من عاطفة عميقة بيننا مادي.

نهض عن الأريكة، وسار مبتعداً عنها قدر ما يستطيع. لم يعد يثق بنفسه إذا كان قريباً منها.

بدا الارتباك على وجهها، طارداً الشغف والسرور. إنه يكره نفسه لجعلها خجولة من نفسها. لكنه لا يستطيع التمادي معها، ليس مع مادي.

صرّ بأسنانه قائلاً: «عليك الذهاب».

هو يريدها أن ترحل قبل أن يفقد السيطرة على نفسه فلا يتمكن من السماح لها بالذهاب أبداً.

سمع صوت بكاء، ثم سمع حركتها وهي تقف ثم تخرج من الغرفة مسرعة ومدمّرة.

وبّخ جاك نفسه: تباً لك أيها المتباهي! رغم كل شيء ها هو الحمض النووي يرفع رأسه عالياً، مثبتاً أنه يشبه والده تماماً.

مرّر أصابعه في شعره، ثم ضغط بيديه على عينيه، محاولاً محو كل شيء، دون جدوى. لن يستطيع أبداً محو صورتها الملائكية من ذهنه، كما أنه لن يستطيع محو ملامح الألم التي وضعها على وجه مادي. لكن إبعادها هو الشيء الأفضل، ليس بالنسبة لها فقط. هو ما زال يحتاج إليها الآن، لكن ليس بالمعنى الحسي.

حسناً! فكّر جاك أنه ربما يخدع نفسه، فهو رغب فيها بكل صورة أيضاً. رغب فيها بكل طريقة يمكن لرجل أن يرغب فيها بامرأة ولا يتحمل التفكير بأنه فعل ذلك. هو لا يحتاج لأن يرغب بأي شخص بعد الآن. إن كان لماضيه أثر إيجابي فهو لتذكيره بأن عليه الاعتماد على نفسه فقط.

إن إبعاد مادي عنه هو لصالحها. سوف تشكره في الصباح وسوف ينسيان كل شيء.

٩ - محاولة أخيرة

شعرت مادي أنها مخدّرة عندما أغلقت باب غرفتها وأقفلته. وكأنها بحاجة إلى قفل لتبقي جاك بعيداً. يمكنها ترك الباب مفتوحاً. يمكنها أن ترقص في أرجاء الغرفة عارية وأن تبقى آمنة منه. يا للسخرية!

فكرت مادي بمرارة أنها انتظرت طيلة هذا الوقت لتقع في غرام رجل، وأخيراً، عندما حدث ذلك، كان جاك هو ذاك الرجل. رغبت في عناقه ولم تفكر أبداً بوجود خاتم في إصبعها أولاً. هي تريده ببساطة لأنها تحبه، وهو صدّها ورفضها. تسلل الغضب إلى أعماقها، متجاوزاً الإحساس بالخدر، وهي ذكّت ذلك الغضب لتكبح الألم الذي عرفت أنه آتٍ.

تمنت مادي لو أن الأرض تنشق وتبتلعها. شعرت بالإهانة عندما رأمن الرجل الذي أحبت أنه يستطيع اصطحابها إلى السرير. جُرحت مشاعرها حين انتشر هذا الخبر في كل أرجاء الجامعة. لكن ذاك لا يعد شيئاً مقارنة مع ما حصل لها مع جاك.

أحبّت رجلاً لا يريدها وهو لا يرغب بعناقها. تمجّ نيويورك بعارضات الأزياء والممثلات وأجمل نساء العالم، ومعظمهن يشكلن مجموعة مواعيده الغرامية.

غمغمت قائلة: «إنه يواعد نساء أقل جمالاً مني، أما أنا فلم يرغب حتى بمعانقتي!».

احترقت عيناها بعد أن امتلأتا بالدموع وتابعت: «إنه لا يرغب بي. حتى مقابل المال، فهو لا يحتاج إليه».

صحيح أن خبرتها الشخصية ليست واسعة في هذا المجال، لكن من

www.elromancia.com

المعروف بشكل عام أن الرجال يرغبون بالتودد إلى النساء في كل الأوقات. وهناك أيضاً حقيقة لا جدال فيها، وهي أنهم بشكل عام يستفيدون من ذلك أينما يستطيعون، ما جعل رفضه لها مثيراً للشفقة أكثر.

لم يكن جاك بحاجة لأن يبحث عن امرأة، كانت مادي هناك، بين ذراعيه، راغبة في عناقه وجاهزة لحبه. إنه حبيبها وقد أظهرت له ذلك بوضوح، لكنه ما زال يرفضها.

أليست من النوع الذي يعجبه؟ أليست جميلة؟ أهي شقراء جداً؟ أم أنها ليست شقراء بما يكفي؟ ما السبب؟ ما العيب فيها؟

لم يخالجها هذا الإحساس من قبل أبداً، ولا حتى في الجامعة. بدت لها العلاقة مع ذاك الأحمق منطقية، قرار مناسب للمضيّ نحو الزواج لاحقاً. لكن حين أنهت علاقتها به لم تشعر أبداً بهذا الألم الجسدي. عرفت بطريقة ما أن ما تريده ليس علاقة سطحية فقط، بل هي بحاجة إلى الحب. إنها تحتاج إلى حب جاك.

لسوء الحظ أذابت الأفكار التي تنسكب في رأسها الخدر، وبدأت تحسّ بالواقع. شكّل الألم عقدة في معدتها وراح ينتشر في كل أنحاء جسدها إلى أن استقرّ أخيراً كالصخرة على صدرها، وراح يضغط على قلبها. رفضه لها لا علاقة له بمظهرها، إنها الكيمياء. هي تحسّ بذلك، لكن هو لا. على الأرجح أنها بالنسبة إليه ليست أكثر من تسلية. على الأقل يملك جاك اللياقة ليبعدها قبل أن تجعل من نفسها مغفلة. أخذت مادي نفساً عميقاً، لتسحب الهواء إلى رئتيها وتأخذ معه رائحة جاك التي ما زالت عالقة في كترتها.

قالت بصوت متقطع: «لا يمكنه أن يحبّني. لا يستطيع أن يحبّ أحداً...».

أدركت هذا عندما تحطّم قلبها وتقطع إلى أجزاء، وعرفت أن هذه القطع سوف تشعرها بالألم إلى الأبد.

في صباح اليوم التالي، شعرت مادي أنها ما تزال ترغب في أن تبتلعها حفرة في الأرض. على الأرجح أن هذا التفكير ليس مناسباً قبل الصعود إلى

الطائرة. لكنها لا تستطيع منع نفسها من ذلك. بعد أن أمضت الليل بأكمله تبكي فوق وسادتها كاتمة تنهداتها، بدت عيناها متعبتين ومتنفختين. لا شك أنها تبدو بشعة. إذا رفضها الآن يمكنها تفهم ذلك. استقلا السيارة إلى المطار بصمت متحجر ولم تظهر لها أي إشارة تدل على تغيير موقفه.

إنها ليست بتعزية على الإطلاق أن تدرك أنها محقة؛ لقد تصرف معها بشكل سيء. لو أنه قاوم سحرها مثل أي شخص محترم لذاته، لأدركت قبل فوات الأوان أن الرفض آت، ولأوقفته قبل أن يتمكن من جرحها. لكنه قام بما هو أسوأ من الاستقامة؛ أتاح لها الفرصة لتتعلق به عاطفياً، وذلك حطّم آمالها.

والآن ها هما، مادي، ملكة الإخلاص حتى الموت، مفرمة بجاك، ملك العلاقات السريعة العابرة. وهما يجلسان في قاعة الانتظار في المطار. هو يجلس في صفّ الكراسي على الجانب الآخر، يعمل على الكمبيوتر كما لو أن المعلومات سوف تجلب السلام للعالم أو دواء لشفاء السرطان.

راحت تسترق النظر إليه، مع أن كل نظرة راحت تولد لديها ألماً يصل إلى أعماق روحها. لو أنه يبدو مثلها، متعباً وعيناه متنفختين أو معذباً، لخفّف ذلك عنها قليلاً. لكنه يبدو مثل... مثل جاك. وسيماً، قوياً، وغامضاً. جاك السيء. تمتمت...

رنّ هاتفها الخلوي ولمحته ينظر إليها. حين التقت نظراتهما، أبعد جاك نظره قبل أن يعود لينظر إلى الكمبيوتر ثانية. ضغطت مادي هاتفها ليفتح وقالت: «نعم!».

- مرحباً، حبيبتي! أنا والدتك.

- أمي...!

ضاقت حنجرة مادي عندما شعرت بالدفء المألوف في صوت أمها، وكأنه يخرج ويلفها مبعداً عنها البرد. من الحماقة أن تفقد السيطرة على نفسها الآن، بينما استطاعت أن تمسك أعصابها من الفندق إلى المطار.

- مادي؟ أما زلتِ على الخط؟

إشارة القلق جعلت صوت كارن فورد يتغير. تابعت: «هل كل شيء على ما يرام؟».

وقفت مادي ومشت نحو النافذة، وراحت تنظر إلى الخارج حيث يقوم أفراد طاقم الصيانة الذين يرتدون بزات العمل، بتفحص الطائرة.

- أنا بخير، أمي.

لكنها غصّت ثانية. شعرت كأنها عادت إلى ذاك الوقت الذي كانت فيه في العاشرة أو الحادية عشرة من عمرها، وبطريقة ما ابتعدت عن باقي أفراد العائلة في مدينة ملاهٍ كبيرة، وبقيت لفترة طويلة من الوقت تطوف لوحدها خائفة وهي تبحث عنهم. لكنها أمسكت نفسها إلى أن لمحت والدتها وانفجرت بالبكاء. كامرأة راشدة هي تدرك أنها أطلقت سراح دموعها لأنها شعرت بالأمان. لكن بقرب جاك ما من مكان آمن.

سألتها كارين: «ماذا يجري؟».

- أنا في المطار. في دبلن.

ثم أضافت: «نحن في طريقنا عائدين إلى لندن».

- ماذا تفعلين في إيرلندا؟

- أتى جاك لرؤية والدته، إنها قريبة من لندن.

قالت والدتها باستياء: «آه! فهمت».

وأضافت: «لم تخبريني من قبل عن عائلته».

- لأنني لم أكن أعرف أي شيء عنها.

تمنت لو أنها لا تعرف الآن أيضاً. رؤيتهم ثانية غيّرت جاك. الماضي حرّر الرجل الأكثر شراً في داخله، مظهراً الشاب المتهور الذي جعله ناجحاً. هنا رأت أيضاً الجانب المستغرق في التفكير والمتحفظ. والآن باتت تشعر أنها تعرف هذا الإنسان بالكامل. الرجل الثلاثي الأبعاد في عيوبه ونقاط ضعفه، في قوته وعمق شهامته، شخص لم تتوقعه أبداً. هو الرجل الذي انتظرته طوال حياتها، ولن تستطيع الحصول عليه.

- مادي؟

- آسفة، أمي. لماذا اتصلت؟ هل كل شيء على ما يرام؟ هل والدي بخير؟

- الجميع بخير هنا. أنا لم أسمع أخبارك منذ مدّة.

أدركت مادي أنها لم تقدّر والديها وعائلتها بشكل كافٍ. هي دائماً تستخف بحبهم لها. لم تكلمهم لأسابيع وها هي والدتها تتصل بها. جاك ترك منزله في الثامنة عشر من العمر لأن والدته كانت عاجزة ووالده حقيراً، وما من أحد أزعج نفسه باللحاق به.

- كنت منشغلة أمي. كيف كانت الرحلة التي قمتم بها؟

- مذهلة. كان عليك مرافقتنا.

لم تتمكن مادي من الموافقة أكثر، فقالت: «أنا سعيدة لأنكما قضيتما وقتاً ممتعاً. أنا أتحرق شوقاً لرؤية الصور».

- متى ستعودين؟

- سأعود قريباً. علي الذهاب الآن أمي. سررت حقاً بسماع صوتك.

- وأنا أيضاً. أتلهف لأعرف كل شيء عن رحلتك وكيف تجري الأمور.

ليس أكثر مما تتلهف مادي إلى أن تفضي بما في قلبها. ردت قائلة: «أفتقدك كثيراً، إلى اللقاء أمي، أحبك».

- أنا أحبك أيضاً، حبيبتي.

بعدئذٍ، لحقت بجاك إلى الطائرة وأخذت مكانها. بعد هبوط الطائرة في لندن، فكّت حزامها ووقفت. وقف جاك ليتناول محفظة من الصندوق فوقه. مشهد كتفيه العريضتين وعضلاته أحدث لديها موجة حادة جديدة من الألم. اشتاقت لمنزلها، ولعائلتها. وقررت شيئاً آخر...

- جاك، أنا لن أعود إلى الفندق معك.

سألها رافعاً أحد حاجبيه: «لم لا؟».

- هناك أمر عليّ أن أهتم به.

عبس قائلاً: «هل كل شيء على ما يرام؟».

لا! أرادت أن تقولها. لقد جرح مشاعرها كلياً، تسبب لها بالأذى بشكل فظيع، لم يعد يمكنها أن تكون قريبة منه.

حدّق إليها لعدة لحظات، لكن تعبيره لم يكن واضحاً، ثم قال: «حسناً! أراكِ لاحقاً».

أخذت مادي نفساً عميقاً، وهي تعدّ نفسها لمواجهة روبرت ڤالنتين. أول فكرة خطرت ببالها هي أن تتوقف بجانب المنزل، ثم أدركت أن بيلا لوتشيا هو على الأرجح المكان الذي ستجد فيه الرجل المدمن على العمل. قرعت باب المكتب مرّة، وبعد سماع صوت مكتوم يقول «أدخل»، دخلت الغرفة. رأت والد جاك يجلس إلى مكتبه، ويحدّق إلى شاشة الكمبيوتر.

- مرحباً، سيد ڤالنتين!

بدا الذهول على وجهه الوسيم وقال: «مادي، أنا سعيد برؤيتك».

أشارت بإبهامها إلى الوراء من فوق كتفها قائلة: «رأيت ماكس في الأسفل، وأرسلني إلى هنا. هل أقاطعك؟».

هي حقاً لا تهتم، حتى إن كانت تقاطعه.

- إطلاقاً، عزيزتي. تفضلي اجلسي.

أدار كرسيّه ليواجهها ومدّ يده مشيراً إلى الكرسي أمام المكتب.

وضعت معطفها وحقيبة يدها على الكرسي الثاني، ثم جلست ووضعت رجلاً مكسوة بالجينز على الأخرى وقالت: «شكراً لك».

- أفترض أن جاك في الأسفل؟

إذا كان قلقاً بشأن نوايا جاك، فإنه لم يظهر ذلك.

هزت رأسها بجبية: «لا! أتيت إلى هنا بمفردي».

- يا لها من مفاجأة سارة!

شبك أصابعه ببعضها البعض، ووضع يديه على الطاولة مضيفاً: «تبدين جميلة كالعادة. أعتقد أن مناخ لندن يناسبك».

هذا هراء! تدرك مادي أنها تبدو كما لو أنها دُهست بعربة نقل. لكن روبرت ڤالنتين يملك سحراً عفوياً. وبالطبع، الولد سرّ أبيه. أملت أن

يكون الوالد ذا شخصية تتميز بالعمق أكثر مما يبدو عليه، كابنه تماماً. إنها على وشك أن تكتشف ذلك. مع أن الجزء الذي يتأمل فيها يرغب في المغادرة، كما أنه يريد أيضاً أن يكون غاضباً وعنيفاً لكن لا يمكنها أن تنسى أن جاك أرادها هنا معه حين يواجه عائلته. منذ تلك الليلة التي وصلا فيها إلى المطعم وهي تعمل كجسر بينه وبينهم. سوف تقوم بذلك الدور مرة ثانية، لأنها تحب جاك. عندما تحب شخصاً ما، تريده أن يجد السعادة. ولا يمكن لجاك أن يحب إلى أن يحلّ مشاكل ماضيه. سوف تقوم بآخر شيء لأجله.

- أعتقد أن لندن مدينة جميلة، لكن لا يمكنني القول إنها تلائمني، ولا حتى دبلن.

خصوصاً دبلن! أخذت مادي نفساً عميقاً.

سألها روبرت بحدة: «ماذا بشأن دبلن؟».

- بالحقيقة هذه ليست زيارة اجتماعية.

انعقد حاجبا روبرت الداكنين معاً حين قال: «وما هي إذن؟».

زمّت شفتيها بإحكام، ثم قررت قول ذلك، فبدأت: «عدنا جاك وأنا من إيرلندا هذا الصباح. رأينا والدته هناك. وأنا جئت إلى هنا، سيد ڤالنتين، لأنني عرفت حقيقة ما حدث منذ اثنتي عشرة سنة. حان الوقت لكي تعرف ذلك أنت أيضاً».

- عمّ تتكلمين؟

عندما أنهت مادي القصة المحزنة، بدا الرجل الكبير متفاجئاً. فسألها: «تقولين إن جاك تعمّد أن يجعلني أعتقد أنه متهرّب من تحمل المسؤولية؟».

- يقول جاك إن من الأسهل عليك أن تفكّر بالأسوأ فيه.

- فهمت!

اتكأ روبرت إلى الوراء، وحدّق إلى الأوراق على مكتبه، لكنه لم يستطع إخفاء الصدمة والمفاجأة من هذا الاعتراف.

عندما فكّر ملياً بالمعلومات والنتائج، ازداد العبوس على وجهه وما لبث تعبير التوتر على وجهه أن اتخذ شكلاً عنيفاً حين قال: «لماذا تهتمين لذلك،

مادي؟».

ليس عليها أن تهتم، لكنها لا تستطيع تمالك نفسها، فأجابت: «من قال إنني أهتم؟».

- أنا فقط أسأل، لِمَ تشغلين نفسك بماضي جاك؟

سألها جاك هذا مرّة وأجابته أنه خطؤه بما أنه أصرّ عليها أن ترافقه في عطلة عيد الميلاد. الآن عرفت أن السبب هو أعمق بكثير، لكنها لن تصل إلى هناك مع والده.

- جاك هو رئيسي.

- سامحيني، لكن هذا يبدو أكثر من واجبات المساعدة وخارج مسؤولياتها.

لن تسمح له بالتدخل بشأنها مع جاك. عليها أن تحصر المسألة بجاك وعائلته. هي رأت بنفسها أن ماكس يهتم به وكذلك إيما. وحين تحدثت مادي مع والدتها تذكرت كم هي محظوظة لأن لديها عائلة تحبها. لدى جاك عائلة تهتم لأمره لكنه يرفضها. لكن ليس إذا استطاعت مادي المساعدة.

- سيد ڤالنتين. ليس لديك فكرة عما تتضمنه واجباتي، وأنا لست هنا لأناقش هذا معك. خلافاً لجاك، أنا حقاً لا أهتم برأيك بي. أنا لا أطلب احترامك.

قال بنبرة مختصرة: «هذا واضح تماماً».

وقفت وجمعت أغراضها قائلة: «أنا ببساطة، أشعر أنه آن الأوان لتعرف الحقيقة».

- لا أقصد الإهانة عزيزتي، لكن أنا بالكاد أعرفك. لماذا يا ترى عليّ أن أصدق هذه القصة المنافية للعقل؟

هزّت كتفيها بحيرة: «ما من سبب عدا أنها الحقيقة. المشكلة هي أنك إذا صدّقت فعليك أن تعترف بأنك مخطىء. لقد كلّف ذلك الأمر جاك خسارة عدة سنوات من عمره. حان الوقت لتتوقف عن التصرف كأحمق، وأن تكون والداً لابنك».

خرجت مادي من المكتب وهي تشعر بالتشوش، ولم يصحُ ذهنها إلا عندما مرّت بالطاولة حيث تناولت الغداء هي وجاك في يوم الإهداء، في المكان الذي نعتته فيه بالأحمق أيضاً. وفي المكان نفسه بدأت تقع في حبّ جاك.

كان ثنائي آخر يجلس هناك الآن ويبتسمان لبعضهما، لم يلاحظا أي شيء حولهما. ولا حتى أنها واقفة تحدّق إليهما، أو الدموع التي تسيل على وجنتيها.

ضغطت مادي زر المصعد ليرفعها إلى جناح ديورلي هاوس. نعتت والد جاك بالأحمق للتو وهي ليست آسفة، مع أنها تعتقد أن ذلك لا يهمها بطريقة أو بأخرى، بما أن الرجل أظهر القليل من العاطفة تجاه تقريعها المطول لأجل جاك.

اعتقدت أنها ستشعر بقليل من الارتياح، لكنها ببساطة أحست بأنها متلاشية. وفوق ذلك، هي خائفة من مواجهة جاك بعد أن رمت بنفسها عليه الليلة السابقة. جنّبها الشعور بالإهانة بدلاً من الذهاب إلى آخر الطريق، لكن ذلك لم يعزّها كثيراً. في تفكيرها، الإذلال يعني حرم للجامعة مليء بشبان يضحكون ويشيرون إليها لأن الشاب الذي يدّعي أنه يحبها راهنهم أنه يستطيع اصطحابها إلى السرير. ما تحسّه الآن أعمق بكثير، وكأن كل الضوء في عالمها قد انطفأ. كما لو أن الوعد بالمساعدة الذي يحوم حولها دائماً قد اختفى فجأة وإلى الأبد.

تقربت من جاك دون أن تفكر بالعلاقة الطويلة الأمد. إنها تضحية غالية بالنسبة لها. قبلت بالتسوية دون تفكير لأنها أبسط خطوة منطقية عندما يكون الشخص واقعاً في حب لا أمل منه. لربما شعرت بحال أفضل لو أن جاك استغلها قبل أن يقول إنه لا يمكن أن يكون هناك علاقة عاطفية بينهما. عندئذٍ سوف تكرهه بكامل قوة هذا الألم الهائل. لكنه سرق ذلك منها أيضاً، ما هذا الوقت الحقير الذي اختاره ليكون شريفاً.

همهمت أبواب المصعد حين انفتحت، ودخلت مادي. للمرة الأولى في

حياتها، تمنت لو أنه يعلق تجنباً للأمر المحتوم، لكن المصعد حملها بلطف وفعالية إلى الطابق المطلوب كما يُتوقع من مصعد في فندق خمس نجوم. مشت إلى الجناح وفتحت الباب. كان جاك هناك يجلس إلى الطاولة والكمبيوتر مفتوح أمامه.

نظر إليها قائلاً: «أنا سعيد لأنكِ عدت».

سألته بلا مبالاة قدر المستطاع: «آه، أحقاً؟».

- وصلني عرض أود أن تلقي نظرة عليه.

نظر إلى الشاشة متابعاً: «أنا أعرف أنك اتخذت قرارك، لكن تقنية الاتصالات عبر الليزر جديدة وواعدة. الرجل يعمل عليها منذ عدة سنوات لكنه لن يستطيع الوصول إلى تقدم مهم دون دعم مادّي. سوف أطبع هذا...».

- لا تزعج نفسك.

دون أن تنزع معطفها، دخلت إلى غرفة نومها، أخرجت حقيبتها من الخزانة وبدأت توضب أمتعتها.

وقف جاك في الباب وسألها: «ماذا تفعلين مادي؟».

هي أحسّت به فقط، لأنها لم تستطع النظر إليه. إن نظرت إليه سوف تبدأ بالبكاء، وهو لا يستحق ذلك.

- بربك جاك! أنت أذكى من شخص أخرق عادي. بالتأكيد يمكنك الملاحظة أنني أوضب أمتعتي.

- لماذا؟

- لأنني عائدة إلى منزلي.

رمت عدة كنزات وبنطلون جينز فوق مجموعة الثياب الموجودة في الحقيبة.

- لماذا؟

لأنها اشتاقت إلى منزلها، واشتاقت إلى أهلها. هو لم يعد ذاك الرئيس الذي يضايقها ويعبث معها دون أذية. تلك العلاقة رحلت ولا يمكنها أن

تسترجعها أبداً، لأنه هو الرجل الذي أحبّت.

حالما دخلت ونظرت إليه أخبرتها طعنة الألم أنها لا تستطيع العودة إلى نيويورك والتظاهر أن شيئاً لم يحصل. لا يمكنها الذهاب إلى المكتب يوماً بعد يوم ورؤيته، ومعرفة أنه لن يبادلها الشعور أبداً. مجرد التفكير في ذلك أمر مروّع جداً. نظرت إليه.. تمالكت نفسها، ونظرت إلى عينيه الزرقاوين ذات الشقاوة الصبيانية وقالت: «لن أستطيع العمل معك بعد الآن».

- فهمت.

بدت نبرته باردة، لكن نظرته أصبحت حادة وغاضبة. نظر إليها بالطريقة التي نظر فيها إلى والدته حين جعلته يشعر أنه يوجه إليها سؤالاً وقحاً، ما يعني أنه مخطىء. تابع: «أفترض أن ما من شيء يمكنني قوله لتغيير رأيك؟».

إلا إذا استطاع القول بأنه يحبها وبأنه يعني ذلك. ردّت قائلة: «لا، لا شيء».

أومأ برأسه، ثم استدار دون أن يقول أي كلمة أخرى. لحظة اختفى، عرفت مادي بثقة رهيبة أن قلبها لن يبقى كاملاً أبداً بعد الآن.

١٠ - لقاء يختصر السنين

راح جاك يطوف الجناح في ديورلي هاوس ويطيل التفكير في حقيقة أن مادي تركت الوظيفة.

بدأت الخيبة تتلوى بعنف في داخله، وليس للمرة الأولى. طيف تلك اللحظات القليلة التي كانت فيها بين ذراعيه تحرك بعنف في داخله. بدت جميلة جداً وقريبة جداً، وكأنها تنتمي إليه. الآن هو يريدها بقربه. توقه إليها بات أسوأ الآن، لكن لا شيء يغير حقيقة أنه لا يستحقها. أغمض عينيه محاولاً طرد صورة الألم والإذلال اللذين ظهرا على وجهها حين هربت منه. ومع ذلك ما زال هو ذلك الأحمق الذي ظن أنها سوف تشكره في الصباح. لكنها غادرت...

سمع نقرة على الباب فبدا شاكراً للإلهاء المرحب به، إلى أن فتح الباب ورأى من الطارق.

- أبي!

ابتسم الرجل الكبير قائلاً: «جاك، هل يمكنني الدخول؟».

- لا أعتقد أن هناك شيئاً لتتكلم عنه.

لا يحتاج جاك إلى هذا حقاً، بعد الطريقة التي عامل بها مادي، وقضاء حياته وفقاً لتوقعات والده غير المرضية. جولة أخرى مع الرجل الذي يعتقد أنه لا يستطيع القيام بشيء جيد ليست في المركز الأول على لائحته.

لكنه سمع صوت مادي في رأسه، قائلاً إن والده يحبه، وواعظاً بالمسامحة. فقال: «ادخل».

مرّ روبرت أمامه وأجال نظره في الجناح. أومأ برأسه كعلامة رضى

وقال: «هذا جيل، جاك».

المكان أعجب مادي أيضاً، كما تذكر جاك، فهو يُعنَى بجميع وسائل الراحة بفعالية. خدمة الغرف تتم إما عن طريق تسليم هادىء بواسطة مصعد خاص، أو بلمسة شخصية من كبير الخدم اللائق اللطيف. تذكر سرورها خلال عشاء ليلة عيد الميلاد.

بالتحدث عن اللطف واللياقة، عليه أن يدعو والده للجلوس، لكنه لم يستطع إخراج الكلمات، بل سأله: «ماذا تريد، أبي؟».

استدار روبرت والتقى نظره بنظر جاك مجيباً: «أتت مادي لرؤيتي البارحة».

سماع هذا صدم جاك، لكنه شرح له أيضاً أين ذهبت قبل أن تأتي وتعطي ملاحظتها. عندما أجاب جاك أخيراً، كل ما استطاع قوله هو: «لا أتخيّل ما لديها لتخبرك به».

- قررت مادي أنه حان الوقت لأعرف أنني اعتبرتك مسؤولاً عن شيء لم تفعله.

لم يخبر جاك أي شخص آخر بالحقيقة، أبداً. وثق بمادي رغم أنه لم يثق بأي امرأة أخرى من قبل أو يشاركها عواطفه الشخصية، وهي أخذت المعلومات مباشرة إلى الرجل الوحيد على الأرض الذي يجب ألا يعرف بها.

صرّ بأسنانه قائلاً: «لا يحق لمادي إخبارك بهذا».

دسّ روبرت يديه في جيبي بنطلونه الفضفاض رافعاً طرفي سترته، وقال: «اهدأ جاك، هي تحاول مساعدتك».

مساعدته، أم معاقبته؟ أجابه: «هذا سرّ والدتي، توسلت إليّ أن أحفظه عنك».

بدا والده مهتماً فسأله: «كيف حال والدتك؟».

جاء السؤال على نحو غير متوقع مما فاجأ جاك، فأجابه: «لا يبدو أنك تهتم، لكنها جيّدة. هي وأيدان».

- أيدان؟ إذاً هي ليست وحيدة؟

www.elromancia.com

أومأ روبرت برأسه باهتمام وأردف: «أنا سعيد لأجلها. بالرغم مما تعتقد، أنا أهتم. لم أكن جيداً معها، لم أجعلها سعيدة أبداً».

في لحظة حسّاسة، أخبر جاك مادي بشيء خاص، شيء لا أحد آخر يعرفه.

- لم تخني مادي أبداً من قبل.

- لم تخنك الآن، بني. إنها محقة، حان الوقت لأعرف. حان الوقت لنضع هذا الماضي حيث ينتمي، وننساه.

هز جاك رأسه قائلاً: «هذا مستحيل».

- ربما أنا أستحق هذا.

ردّ جاك بعنف: «أنت دمّرت والدتي».

تنهد روبرت قائلاً: «أود القول إنك مخطىء بشأن هذا، لكنني لا أستطيع. كنت أنانياً، فتسببت لها بالأذى».

قال جاك بمرارة: «وأنا ابن والدتي».

- أنت ولد صالح، والفضل في ذلك ليس لي بالتأكيد. من الواضح أن والدتك مسؤولة عن الرجل الذي أصبحت. لكن أنت رجل ناضج الآن، رجل أعمال موهوب بفضل جهدك الشخصي. ماذا تفعل إذا تهرّب موظف من مسؤولية مهمة، وعندما واجهته بالدلائل التي تشير إلى تقصيره لم يحرّك ساكناً ليقوم بعمله أو ليبرر تقصيره؟

تلوّت الذكرى القاتمة في داخل جاك. كان عليه أن يختار دعم والدته، لكنه أمل بشدة أن يعرف والده بطريقة ما أنه بذل قصارى جهده. ردّ قائلاً: «بدا كأنك تتوقع مني أن أكون عديم النفع».

- لم تبين أي حقائق تثبت العكس، لم تقدم أي كلمة لتشرح ذلك، فماذا أتوقع غير ذلك؟

والده على حق، فجاك يعرف أنه في الظروف نفسها سوف يقوم بالخيار نفسه.

- كان عليّ حمايتها منك، فالخطأ كان خطأك.

- أتمنى لو يمكنني القول إنك مخطىء.

أومأ روبرت بتجهم وتابع: «حصلت والدتك على انتقامها. انعكس الفشل علينا جميعاً، وبلغت الخسارة قدراً كبيراً من المال. مضى وقت طويل قبل أن نستعيد السمعة الحسنة التي خسرناها».

ناضل جاك لسنوات عدة من المرارة واللوم كما يتذكر، فأجابه قائلاً: «أنا فعلت ما كان عليّ القيام به».

تحوّلت ابتسامة روبرت إلى حزن، وقال: «سأدفع أي شيء لإبطال ما حدث وسحب الأشياء التي قلتها في تلك الليلة. لو كنت والداً جيداً... لو تمكّنا من الكلام، لأمكنك أن تثق بي وتخبرني الحقيقة. أود الحصول على فرصة للمحاولة ثانية، جاك. حان الوقت لأتوقف عن التصرف كأحمق وأبدأ بلعب دور الوالد».

حدّق جاك إليه قائلاً: «لم أسمعك أبداً تتكلم هكذا من قبل».

- مساعدتك صريحة تماماً، أليس كذلك؟

مادي قالت ذلك له؟ هذا جيد من قبلها.

- أجل، هي تقول ما تفكّر به.

- يمكننا نحن الاثنان أن نتعلم درساً منها. وآمل ألا يكون قد فات الأوان لنعمل على مصارحة بعضنا دون تحفظ.

تابع روبرت وهو يحدق إليه بشكل مباشر، ودون تردد: «حان الوقت لأقول لك كم أنا فخور بك، بني».

ذُهل جاك مرّة أخرى. نقرت الكلمات في مكان مظلم وفارغ في أعماقه. السخرية سلاح كلاميّ تعلّمه من مادي، أراد أن يقول لنفسه: من أنتَ وماذا فعلت بروبرت ثالثتين؟ لكن كل ما استطاع قوله هو: «آه!».

أومأ روبرت قائلاً: «في عالمي، العمل يأتي قبل العائلة. ربما لأنه وصل بسهولة إليّ. لكنني فاشل كوالد، كما أنا فاشل بعلاقاتي مع النساء».

هزّ روبرت كتفيه متابعاً: «أنا لست جيداً في تلك الأمور أيضاً»

قال جاك: «ما الذي جعلك تفكر هكذا؟ هل السبب هو أريج

زيجات؟».

التوى فم روبرت بابتسامة، ثم بدا جاداً وأجاب: «كلّفني ذلك أكثر ممّا تظن. العمل مهم، لكن يجب أن يأتي الحب أولاً».

بدا واضحاً أن الرجل يكشف عمّا في أعماقه، فتابع: «لو وضعت الحب في الدرجة الأولى، لما اقترفت أخطاء كثيرة. مع ماكس، إيما».

التقى نظره بنظر جاك مباشرة وأردف: «... ومعك على وجه الخصوص».

لم يعرف جاك ما يقول. حمل غضبه وألمه كحاجز لوقت طويل، لكن لم يعد هناك مكان ليختبىء فيه. ومادي هي مسؤولة عن هذه المشكلة.

- على الرغم من أن هذه المكاشفة بيننا ممتعة أبي، لا شيء يبرر حقيقة أن مادي ذهبت إليك بمعلومات لم تكن ملكها لتشاركها مع أحد.

- لا تغضب منها، جاك!

ظهر شيء ما في عيني والده يلتمس تفهمه. وتابع يقول: «فعلت ما اعتقدت أنه لمصلحتك، ولدي. أنت تعرف أنها مغرمة بك».

- ما الذي يجعلك تقول ذلك؟

- دافعت عنك كما تدافع القطة الأم عن صغارها.

- أهي فعلت ذلك؟

- تماماً! لدي شعور بأنك تحبها أنت أيضاً.

بدا روبرت مستغرقاً في التفكير وكأنه يتذكر شيئاً وأردف: «أحببت امرأة ذات مرة، وحين ماتت فقط أدركت مدى خسارتي بعد فوات الأوان. لا تقترف الخطأ نفسه، بني. أخبر مادي بشعورك تجاهها قبل فوات الأوان».

فكّر جاك أنه تأخر كثيراً الآن. وهج الغضب المتلاشي ركّز انتباهه على الحقيقة المروّعة: لقد دمّر فرصته معها.

نظر إلى والده، فرأى على وجه الرجل شيئاً لم يره أبداً من قبل؛ اعتداد بالنفس، حب، احترام، حزن... كل الأشياء التي أخبرته مادي أنها لاحظتها في والده من اللقاء الأول القصير.

اعترف بشيء كان يحاول تجاهله: لقد افتقد عائلته كلها، بمن في ذلك والده. إذا لم يتصالح معه الآن، من المحتمل ألا تأتي فرصة أخرى أبداً، ولن يتمكن من العيش مع ذلك الندم.

مادي هي من سبب بهذا. هي الصوت الهادر في رأسه. أخبرته بما تفكر فيه سواء أراد سماعه أم لا. فعلت ما اعتقدت أنه الصواب ولتسقط الشظايا أينما سقطت! هو يحترمها، ومعجب بها، وبحاجة إليها... اللعنة! إن والده محق، فهو مغرم بها.

- حسناً! أبي. لن أغضب من مادي.

أومأ روبرت قائلاً: «جيد، إذاً الآن هل نستطيع مناقشة مسألة بقائك في لندن؟».

- أنا لن أبقى هنا بشكل دائم.

- على الرغم من تهديدك بتفكيك العمل. أنا في الواقع آمل بأن تعود لتبقى وتدير العمل.

هزّ جاك رأسه وأجاب: «لا. بشأن العمل... مهما حاولت جمعه، أنت وعمّي جون تمزقانه. كل منكما يحاول فرض سيطرته».

- أنا الاختيار المنطقي. فابن جون هو من وضعنا في هذا المأزق المادي.

- هل هذا يهم الآن؟ الأمر الأهم هو إنقاذ بيلا لوتشيا.

حتى هذه اللحظة، جاك لم يدرك حتى إنه يشعر بهذه الطريقة. ما إن خرجت الكلمات منه حتى اكتسبت شعور الزخم، فتابع: «المسألة هي أن لا أحد منكما سيصبح أصغر في السن. أنتما بحاجة لأن تفكرا بالتقاعد».

- إذا فعلنا ذلك وأنت لم تبقَ، فمن سيدير العمل؟

- ماكس هو الخيار المنطقي. هو كان موجوداً هناك في كل خطوة من الطريق. أنا بانتظار رؤية خطة مشروع العمل التي يحضّرها لي.

لم يرغب جاك بقول أي شيء حتى الآن. لكن مع رأس المال الذي يخطط لاستثماره، لن تعود الأزمة المالية قضية مهمة.

- هل أنت متأكد من أنك لن تمكث هنا؟

www.elromancia.com

هزّ جاك رأسه مجيباً: «حياتي لم تعد هنا بعد الآن، أبي».

بدا الرجل خائب الأمل حقاً، وحقيقة أنّ جاك استطاع تمييز العاطفة هو شيء مذهل بحد ذاته. كل الشكر يعود لمادي.

- طبعاً!

تحولت ابتسامة روبرت إلى حزن وتابع: «لكن لا يمكنك لوم والد بسبب أمله».

مدّ الرجل يده. هل يمكنه فعل شيء أقل من التقدم للاستجابة له؟ مدّ جاك يده قائلاً: «أعدك بأنها لن تكون اثنتي عشرة سنة أخرى. من الآن وصاعداً لن أكون غريباً هنا في لندن».

أخذ روبرت يده، ثم جذبه نحوه وعانقه عناقاً مؤثراً. لم يكن الأمر سهلاً، ولم يكن مألوفاً. لكنه كسر الجليد بينهما.

تراجع روبرت قائلاً: «إذاً، سوف أتطلع بأمل ولهفة إلى رؤيتك ثانية في وقت قريب».

- أنا أيضاً.

ابتسم جاك لوالده، وهو شيء لم يعتقد أبداً أنه سيتمكن من فعله يوماً.

ألحّت عليه والدته بأن يسامح، لكن جاك يعرف أنه غير مستعد تماماً. النسيان سوف يكون إساءة لكليهما، له ولوالده وللتقدم الذي أحرزاه اليوم، لكنه مستعد لترك الباب مفتوحاً. إنه مستعد لبدء عملية بناء علاقة جيّدة مع والده. المعجزة في حصول هذا يمكن إلقاؤها مباشرة تحت قدمي مادي.

* * *

راح جاك يذرع غرفة الاستقبال في مكتب المحامي ذهاباً وإياباً. أجر محام في الساعة باهظ إلى حدٍ كافٍ، وأمِل ألاّ يكون هناك ثمن لإبلاء السجادة الخضراء السميكة. الجدران مكسوة بألواح من خشب السنديان وفي وسط المساحة الواسعة للغرفة هناك مكتب للاستعلام. نظر إلى ساعته، للمرة العشرين، آملاً أن يأتي ماكس ولويز في الوقت المحدد. طلب أن تكون

الطائرة جاهزة لرحلة العودة إلى نيويورك. أما بالنسبة إلى مادي، فهي لن تجيب على اتصالاته الهاتفية، لذا سيظهر على عتبة بابها، ويخيّم هناك إلى أن يتمكن من إقناعها بالإصغاء إليه.

فُتح الباب ودخلت لويز ڤالنتين. امرأة شقراء طويلة ذات جسم رياضي وعينين زرقاوين مائلتين إلى اللون الرمادي. بدت عملية جداً ببذلتها الرسمية، وهي عبارة عن تنورة سوداء وسترة حمراء. نظرت حولها وابتسمت حين رأت جاك.

- مرحباً، جاك!

- لو! شكراً لمجيئك.

قالت وقد بدا عليها التوتر: «ماذا يجري؟».

- سأخبرك عندما يأتي ماكس.

- أهو آتٍ؟

نظرتها أنبأته أنها تفضّل التعرّض لأنفلونزا على رؤية ماكس.

- اتصلت به ووافق على الحضور.

في تلك اللحظة فتح ماكس الباب وابتسم لجاك، لكن حين رأى لويز تغيّرت تعابير وجهه وقال: «لو!».

قالت بفتور: «ماكس!».

نظر جاك إلى ساعته وقال: «جيد، كلنا هنا».

وضع ماكس يديه في جيبي بنطلونه الفضفاض المقلّم وقال: «ماذا قررت جاك؟ لماذا نحن هنا؟».

شرح جاك، محدقاً إلى ماكس: «قررت إنقاذ العمل لا تجزئته».

أومأ شقيقه برأسه مبدياً تفهمه، فيما تابع جاك: «سيحضر المحامي أوراق الاستثمار».

- أخبار ممتازة.

ابتسم ماكس إلى أن استقر نظره على لويز وتابع: «لكن لا أفهم لما هي موجودة هنا».

www.elromancia.com

قالت لويز: «سررت برؤيتك أيضاً».

نظر جاك إلى كل منهما قائلاً: «لهذا السبب، هذه العائلة تتمزق إلى أجزاء وأنا لن أسمح بأن يحدث هذا. كل منكما هنا هو ممثل لأحد شقّي النزاع».

ثبتت لويز رباط محفظتها الجلدية السوداء الصغيرة على كتفها بشكل محكم أكثر، وقالت: «ومن تكون أنت؟ عرّابة العائلة السحرية؟».

ابتسم جاك مجيباً: «يمكنك قول ذلك».

سأله ماكس: «متى حدث هذا التغيير المفاجىء؟».

- يمكنك القول إنه عمل في طور التقدم.

اعترف جاك مضيفاً: «أظن أن إيما بدأته ومادي عزّزت نموه إلى الأمام».

التقى نظره بنظر أخيه وتابع: «التقيت بوالدي وناقشنا الأمور بصراحة ودون تحفظ».

- آه، فهمت!

لكن نبرة ماكس دلّت أنه لم يفهم أبداً.

- أنا افتقدت العائلة. لم أدرك ذلك إلاّ عندما عدت. أنتما لا تقدران هذا لأنها موجودة هنا، أمامكما.

مثله هو ومادي. لم يدرك تماماً قيمة ما يتشاركه معها إلاّ حين غادرت. لكنه سيصلح ذلك لاحقاً. سوف ينتهي من هذا الأمر أولاً.

- سوف أساعد المطاعم على النجاة من هذا المأزق، لكن المطلوب من كلا الجانبين من العائلة التعاون والعمل معاً لإنجاح الأمر.

ثم نظر إلى ماكس وتابع: «أعتقد أن أول خطوة في العمل يجب أن تكون استخدام لويز».

تبادل رفيقاه نظرة ذهول، وسأله ماكس: «لماذا؟».

سلّ جاك يديه من جيبي بنطلونه الفضفاض وقال: «إنها مستشارة تسويق وعلاقات عامة موهوبة، ويمكنها إعطاءك تماماً النوع الصحيح من الدعم. رأيتها تؤدي عملها في حفلة إيما في السفارة، وبدا لي أنها ليست مرتعبة من

الغنى، الشهرة، القوة والملكية».

- لكن...

- حقاً، ماكس.

حدّقت إليه لويز متابعة: «لا تحدّق بدهشة، أنا لست دون مهارات».

قال ماكس: «دعيني أذكّرك إذا كنت قد نسيتِ أننا حاولنا العمل معاً، وكان ذلك كارثة».

شرحت لويز لجاك قائلة: «لقد طردني».

- آه!

تفحّص جاك كل منهما وشعر أن ما بينهما هو أكثر من ذلك. إذا كان قد فهم شيئاً فهو أن هناك وجهين لكل قصة. وهذان الاثنان عليهما حلّ هذه المسألة.

أصرّ جاك قائلاً: «إذاً عليك إعادة استخدامها. أفراد هذه العائلة بحاجة لأن يتعلموا العمل مع بعضهم البعض».

سألته لويز: «ما الذي جعلك تقرر استثمار المال في بيلا لوتشيا؟».

رمى ماكس عليها نظرة، ثم هزّ برأسه كما لو أنها تتكلم بغباء مطلق، وأجاب: «السبب هو مادي».

- أهي المرأة التي أتت إلى حفلة عيد الميلاد معك؟

حين عبّر ماكس عن ازدرائه، حدّقت لويز إلى ماكس وقالت: «لا تتحدث في تلك المسألة ثانية. لا أريد أن أسمع أي شيء بشأن ذلك».

قال ماكس: «أتعنين قَصّة الشعر القصيرة البيضاء الجعدة، والتنورة السويدية الحمراء القصيرة مع حذاء عالي الساقين؟ آه! كان ذلك مقرفاً».

تأففت لويز بغضب قائلة: «كانت ليلة الميلاد. عليك أن تكون قادراً على التعبير عن نفسك مع عائلتك».

قال جاك: «هذا ما قصدته تماماً».

تذكر قراره المرتجل بإحضار مادي معه إلى لندن. الآن أدرك أنه عرف أنها ستكون الجسر الذي يرجعه إلى عائلته.

www.elromancia.com

اعترف قائلاً: «مادي ساعدتني كثيراً في اتخاذ قراري. أما بالنسبة إليك ماكس، فخطة العمل رائعة...».

قاطعته لويز: «آه! من فضلك جاك. لا تغذي غروره الممتلىء سابقاً».

تفحّص جاك ابنة عمّه لويز، ولم يستطع تمالك نفسه عن مقارنتها بمادي، رغم أنهما لا تشبهان بعضهما أبداً. فجرأة ابنة عمّه الدالة على ثقة سيدة الأعمال وأجوبتها البارعة الوقحة ذكرته بمادي. وحين تبادل ماكس ولو نظرة مليئة بالشرر، تساءل جاك عن خفايا علاقتهما. لديه شعور أنها ستكون مكهربة، ليس خلافاً لعلاقته بمادي. يا الله! إنه يفتقدها كثيراً.

سأله ماكس وكأنه استطاع قراءة أفكاره: «أين مادي؟ توقعت رؤيتها هنا».

- لا!

شعر جاك بغيابها وكأن نصفه مفقود. وأضاف: «غادرت إلى نيويورك منذ بضعة أيام».

تأمله ماكس عن كثب، ثم سأله: «هل هناك مشكلة بينكما؟».

- واجهنا...

إن أخاه يعرفه جيداً، وما من جدوى في تمويه الحقيقة، تابع جاك: «المشكلة هي أنني كنت أحمق».

فاضت الشفقة من عيني لويز حين ربتت على يده قائلة: «تفهّم المشكلة هو جزء من حلها، جاك. القليل من التنازل لن يؤذي أياً منكما».

قال ماكس بسخرية: «تعرفين الكثير».

- أعرف أكثر مما تعتقد.

أجابته بطريقة لاذعة قبل أن يلتقي نظرها بنظر جاك ثانية لتسأله: «إذاً، هل أنهيت عملك هنا في لندن؟».

أومأ جاك برأسه مجيباً: «حالما نرى المحامي، سأتجه عائداً إلى نيويورك».

قال ماكس: «بلّغ مادي تحياتي».

- سأقوم بذلك.

لم يعد جاك يغار من شقيقه.

أضاف ماكس: «حظاً موفقاً».

سوف يحتاج جاك إلى كل جزء من الحظ وكل السحر الذي يمكنه جمعه. عليه أن يؤمن بأنه لم يفت الأوان بالنسبة له ولمادي. لقد واجه حقيقة أنه يشبه والده، لكن ذلك لا يعني أنه لن يتمكن من التعلم من أخطائه.

وجد جاك المرأة التي يريد، المرأة الوحيدة في العالم التي باستطاعتها أن تجعله سعيداً، وهي كانت أمامه مباشرة كل الوقت. لا يهم كم سيستغرق ذلك، ولا يهم ما الذي سيفعله، سوف يُقنع مادي أنهما يجب أن يكونا معاً.

www.elromancia.com

١١ - لماذا أتيت؟

هبّ نسيم الأصيل اللطيف على وجه مادي حين جلست على كرسيّ مريح في فندق ڤيلا لايسي، ترتشف كوباً من العصير اللذيذ النكهة. يقولون إن في السفر والابتعاد دواء لقلب الإنسان وهي تختبر هذه النظرية. أخذت بضع رشفات من كوبها لكنها لم تشعر أنها بحال أفضل. إنها تفتقد لجاك وقلبها يتألم.

هذا ليس كل شيء، هي تفتقد لمهنتها في «شركة ڤالنتين». ذاك الإدراك الذي جاء متأخراً بأنه لم يكن عليها الذهاب إلى لندن أبداً يجعلها تشعر بالانزعاج. كان عليها ترك العمل الذي تحب لأنها تخاف من رؤية رئيسها الذي وقعت في غرامه.

من جهة أخرى، سمح لها الراتب السخي الذي توفر لها من مهنتها بتحقيق حلمها والمجيء إلى فلورنسا. اقترحت عليها والدتها ذلك بعد أن أفضت إليها مادي بهمومها. اقتنعت مادي أنها فكرة جيدة، وحجزت مقعداً لها بسرعة. ما كادت تستقر في غرفتها الجميلة في الفندق حتى أدركت أنه يمكنها السفر حول العالم، لكنها لن تستطيع الهروب من مشاكلها.

- مرحباً مادي!

عند سماعها الصوت العميق المألوف، وقف الشعر في أسفل رقبتها، وشعرت بوخز خفيف في نهاية كل عصب في جسدها. نظرت إلى الأعلى، ووضعت يدها على جبينها لتحجب وميض أشعة شمس المغيب عن عينيها... وقف جاك أمامها وبدت غير متأكدة تماماً أن رؤيته تلك ليست من نسج خيالها.

- جاك؟!

- مادي، أنا بحاجة للتحدث إليكِ.

هل تبعها جاك إلى إيطاليا؟

- كيف عرفت أين تجدني؟

- لم تجيبي على اتصالاتي فاتصلت بوالدتكِ.

أشار إلى المقعد بجانبها وقال: «هل تمانعين إذا جلست؟».

- وإذا مانعت؟

لقد تبعها جاك إلى إيطاليا!! يبدو أنها لن تتمكن من تجاوز ذلك.

- إنه أمر مهم.

قالت ببرودة، رغم أن قلبها راح يرتعش بقوة: «أنا منشغلة إلى حدّ ما».

قال بسخرية: «آه فهمت! من فضلكِ».

هل سبق لها أن سمعت جاك ڤالنتين يقول: من فضلك؟ لم تستطع التذكر، والأهم من ذلك، أنها لن تتمكن من رفضه بما أنه قطع كل هذه المسافة إلى إيطاليا. أخذت نفساً عميقاً منشطاً، واستجمعت قواها لتنهي هذه المسألة. راحت تُقنع نفسها أن هذا يشبه القفز إلى مياه مثلجة، الإحساس الأول يكون برداً قارساً، ثم يعتاد المرء عليه. عندئذٍ يمكنها التعامل مع الأمر.

لا يمكنها العودة في حياتها إلى الوراء وإلغاء غلطتها بمرافقته إلى لندن، لكنها سوف تفعل ما بوسعها لتنسى أن شيئاً شخصياً حدث بينهما هناك.

- حسناً!

جلس على الكرسي، لكنه لم يتمدّد. لم يكن هناك مساحة كافية لساقيه الطويلتين بين الكرسيّين، كانت ركبتاه بعيدتين قليلاً عنها. هل هي حقاً تشعر بدفء جسده، أم أن هذا مجرد وهم؟ أصحيح ما يقال بأن البعد يزيد القلب ولوعاً؟ يبدو جاك أكثر وسامة من أي رجل يستحق النظر إليه. شعره الداكن مرتب بشكل رائع، بنطلون الجينز الباهظ الثمن يبدو مفصلاً تماماً على قوامه، وكمّا قميصه الطويلين ملفوفين حتى مرفقيه. كما أن اللون

الأزرق الفاتح يظهر بوضوح الشقاوة في عينيه.

- ماذا تريد، جاك؟

مدّ يده كأنه يريد لمسها، ثم وضع ساعديه على فخذيه وقال: «من الجيد رؤيتك، مادي».

- مضى أسبوع فقط.

لكنها تشعر بأنها فترة أطول.

صحّح لها جاك قائلاً: «عشرة أيام».

لكنها تشعر وكأنها مدى العمر. ردّت قائلة: «حسناً!».

- فهمت أنكِ زرتِ والدي.

نظرت إليه فجأة وقالت: «كيف عرفت؟».

- أتى لرؤيتي.

ظهر لون داكن في عينيه ما جعلها تحسّ بشعور سيء. إن قرارها برؤية روبرت ڤالنتين كان اندفاعاً متهوراً، لم تفكّر حقاً بعواقبه. كان على شخص ما التوسط لحلّ الخلاف، وهي قامت بذلك بكامل إرادتها. هذا ما كان ليفعله جاك. لكن ماذا لو أنها جعلت الأمور أسوأ؟ لا يمكنها معرفة ما إذا كان جاك غاضباً أم لا. لم يعد الأمر يهمها على أي حال. ماذا سيفعل؟ أسيطردها؟ هي لم تعد تعمل لحسابه بعد الآن.

سألته، وهي تتفحصه، منتظرة الحدّة الذي يولدها ذكر والده دائماً: «كيف كان لقاؤكما؟».

شبك أصابعه ببعضها وقال: «كان... ممتعاً».

لم يساعدها جوابه كثيراً. هي لا ترغب بأن تكون فضولية، لكن لا يمكنها تمالك نفسها حين يكون جاك معنياً، فسألته: «هل ترغب بتفصيل ذلك؟».

- شرح الأشياء من وجهة نظره، وأخبرته أنا لما تصرفت بتلك الطريقة. اعتذر وقال إن الوقت حان ليكف عن التصرف كأحمق ويبدأ بلعب دور الوالد.

حدّقت إليه مادي وقالت: «هو قال ذلك؟».

- أجل!

ارتفعت زاويتي فم جاك الرائع، فأدركت مادي أنه يعرف أنها هي من قالت هذا. وتابع: «سوف نعمل أنا ووالدي على التواصل ببعضنا».

- أنا سعيدة لأجلك، جاك. ماذا فعلت بخصوص والدتك؟

- اتصلت بها لأعتذر عن رحيلي الفظّ. تحدثنا إلى بعضنا والأمور هناك في تحسّن أيضاً.

في داخلها كانت مادي ترقص فرحاً. من الجيد أنه سوّى خلافاته مع عائلته. على الأقل كان ذاك الجزء من الرحلة ناجحاً.

- هذا جيد. ماذا عن بيلا لوتشيا؟

لوسي الجميلة! بدأ العمل بسبب حبّ رجل لامرأة. هذه الفكرة جعلت قلبها يتألم، لأن ما من رجل على الأرجح سيحبها بهذه الطريقة.

الرجل الوحيد الذي تريده هو جاك، وهو أظهر شعوره تجاهها بشكل واضح.

- قبل مغادرة لندن قمت بالترتيبات اللازمة لتوفير رأس المال اللازم لإبقاء المطاعم في حالة ازدهار وإعادة الحياة ثانية لمهنة العائلة. ماكس سوف يتولى إدارتها.

- أنا سعيدة جداً، جاك.

أومأ برأسه قائلاً: «ظننت أنك ستعطين رأياً حسناً».

- فعلت ذلك. أنت قمت بعمل جيد. أنا متأكدة أن عائلتك شاكرة لك. يجب أن يكونوا...

نسيت نفسها وانحنت إلى الأمام لتلمسه، وما لبثت أن تجمدت في مكانها.

- ماذا؟

- لا شيء.

أخفضت يدها. لهذا السبب تركت العمل. لا يمكنها إخفاء مشاعرها.

أردفت قائلة: «لم قطعت كل هذه المسافة إلى فلورنسا؟».

- أريد التحدّث عنّا.

بهذه الطريقة عادت قوته. كل ذاك التركيز الموجّه إليها بدا مثيراً بشكل غير متوقع فسرق الهواء من رئتيها.

جلست بشكل مستقيم وقالت: «ليس هناك «نحن». أنا آسفة لأنك قطعت كل هذه المسافة لتتحدث عن لا شيء».

- لدي الكثير لأقوله.

- لا يمكنني تخيّل ما تريد قوله.

- أولاً، أريدكِ أن تعودي للعمل لحسابي.

نقلت ساقيها إلى الجانب الآخر من المقعد، وجلست باستقامة لتواجهه. بعد أن وضعت كوبها على الطاولة الزجاجية بجانبه قالت: «أخبرتك أنني لا أستطيع القيام بذلك».

- بسبب ما قلته... بأنه لا يمكن أن يكون هناك شيء غير العمل بيننا.

من عادة جاك أن يفاجئها، لأنه يتحمل المسؤولية. قالت: «امنحوا الرجل نجمة ذهبية».

- كنت مخطئاً بشأن ذلك. أنا أحبك مادي.

وقفت وتراجعت إلى الوراء قائلة: «أنا لا أصدّقك».

أجابها: «أنا جدّي تماماً».

- أظنّ أنني أستحق المديح على الصعيد الوظيفي والمهني. يبدو واضحاً أنك ستبذل كل جهد لتمنعني من التوقف عن العمل.

كرّر جاك وقد ظهرت اللهفة في صوته: «أنا أحبك!».

- آه! من فضلك. أراهن أنك تقول ذلك لكل الفتيات لتنال ما تريد. المشكلة هي أنك أوضحت ما لا تريده بكلمة واحدة: الزواج والعائلة.

أشار بطريقة عقلانية جداً قائلاً: «هاتان كلمتان».

تحمّلت بما فيه الكفاية من سخريته منها بقوله فقط الكلمات التي تمزق قلبها. انتقدت عيناها ما تطلّب منها كل مقدار من السيطرة لتمسك دموعها.

ابتعدت قائلة: «لن تتغير أبداً، جاك».

هل يحبّها حقاً؟ ما الذي جعله يقول هذا؟ أخبرته مرة أنها تنتظر حباً... تنتظر شخصاً ما يحبها. وها هو يستعمل كلماتها ضدّها. لماذا؟

- أنتِ مخطئة مادي.

قبل أن تتمكن من الابتعاد، وقف وأمسك بذراعها. إنه أقوى منها ومن المستحيل الفرار من قبضته دون نضال. عندها قالت: «أنتَ جرحتني، جاك. رميت بمشاعري في وجهي، وخلافاً للنساء اللواتي يسهل عليك التخلص منهن، لم أحصل حتى على الزهور. لماذا تراني سأعرّض نفسي إلى ذلك من جديد؟ لماذا ترغب بإزعاجي؟ العالم مليء بالنساء اللواتي سيشعرن بالسعادة للدخول في لعبتك».

نظرت إلى أصابعه على ذراعها، ثم حملقت إليه بغضب.

أنزل جاك يده قائلاً: «أنا لا ألعب أية لعبة».

قالت وهي تمشي مبتعدة: «ولا أنا».

اندفع صوته نحوها قائلاً: «لم ننتهِ بعد مادي، سوف أعود».

* * *

قال جاك حين رفع كوبه أمام ماكس: «المزيد من الازدهار لبيلا لوتشيا».

ابتسم ماكس قائلاً: «نخب بيلا لوتشيا».

ثم ارتشف رشفة من العصير متابعاً: «تماماً كالأوقات الماضية. عدا حقيقة أنك للتو أنقذت جسم عائلة ڤالنتين».

كانا هما الاثنان يجلسان إلى طاولة في مقهى قريب من مكتب المحامي حيث وقّع جاك أوراق العمل التي تعطيه حق التحكم بشركة العائلة. بدا هذا مثل الأوقات الماضية، حيث شعر جاك باطمئنان لم يعرفه لفترة طويلة، إن لم يكن أبداً.

سأله ماكس: «كيف تشعر؟».

- بحالة جيدة تماماً.

www.elromancia.com

ومادي هي المسؤولة عن هذا. جعلته يرغب في أن يكون رجلاً أفضل، وجزء من هذا هو القيام بعمل صالح مع عائلته. الإجراءات القانونية لا تنتظر، لذا قام بهذه الرحلة السريعة إلى لندن، كما مادي بحاجة إلى بعض الوقت لتفكر بما قاله لها. هو الفاعل وهي المفكّر، لهذا السبب هما يشكلان فريقاً جيداً.

رفع جاك كوبه ثانية وقال: «نخب الرئيس الجديد لمطاعم بيلا لوتشيا».

سأله ماكس: «من سيكون هذا الشخص؟».

ابتسم جاك بجبياً: «أنت».

- أنا؟!

بدا أخوه متفاجئاً وتابع: «هل أنت متأكد من هذا؟».

أجابه جاك مضايقاً: «أنا، أجل. إلا إذا اعتقدت أنك لا تستطيع التعامل مع هذا؟».

أجابه ماكس بسخرية: «اختبرني وإذا لم أعجبك، يمكنك إقصائي. تحفظاتي هي والدي وعمّي جون. لا أحد منهما سيوافق على أخذ منزلة ضئيلة الشأن بعد التصارع بعنف للسيطرة على الشركة».

قال جاك: «حان الوقت ليتقاعد كلاهما، وهما سوف يتقاعدان. أعدك بأنك أنت ستكون المسؤول».

ابتسم ماكس قائلاً: «أخبار ممتازة. لطالما تحرقت لأنقل الشركة إلى القرن الحادي والعشرين لبعض الوقت في ظل الظروف الحاضرة».

- بماذا تفكر؟

قال ماكس: «التوسع. قابلت سرياً صديقاً لي من إتون... إنه الشيخ سليم...».

- أراك أصبحت تعمل بطريقة جايمس بوند.

- أجل. حسناً! إنه يملك منتجعاً سياحياً مربحاً تماماً في صحراء مملكة نورين. وهو يتقبّل فكرة افتتاح فرع بيلا لوتشيا هناك.

- فهمت!

- يمكن أن تكون الخطوة الأولى لجعل إمبراطورية بيلا لوتشيا عالمية.

ابتسم جاك: «هذا عظيم جداً».

قال ماكس وقد بدا عليه الانزعاج: «آه! لا تأخذ الأمر بسخرية».

- لا، أنا أتكلم بجدية.

قال ماكس: «أحقاً؟ أنت وأنا معاً، يبدو لي هذا جيداً بالفعل».

استطاع جاك الإحساس بابتهاج أخيه وشاركه ذلك، ثم قال: «أنا هنا ماكس، لكننا لن نكون معاً فعلاً. المطعم هو مشروعك الآن لا مشروعي أنا».

- ماذا تقول؟

لن يكرر جاك أخطاء والده ثانية، فأجابه: «أنا لا أريد دوراً فعّالاً هنا، كما أنني أعيش حياتي».

تفحّص ماكس أخاه بتركيز وسأله: «هل لفتاة شقراء جميلة تدعى مادي علاقة بهذا القرار؟».

- هل تقرأ أفكاري بهذه السهولة؟

- أجل.

كل ما يحتاجه جاك هو أن تصدّق مادي أنه يقول الحقيقة بشأن حبه لها. لم يشعر بهذا التوتر منذ... حسناً! أبداً. ولا حتى عندما رهن كل ما يملكه في صفقة برامج إلكترونية. يملك الآن الكثير من المال ليراهن عليه.

- سوّيت الخلافات مع عائلتي، وأنا بحاجة لأقوم بالشيء نفسه معها. لن يكون ذلك سهلاً. تركتها في فلورنسا للتو وهي تعاند بشأن منحي فرصة ثانية.

- المثابرة يا رجل! إنها تستخدم في العمل كما في الحياة العاطفية.

- آمل أن تكون محقاً.

بدت غاضبة ومجروحة، وهذا مرعب. برغم أن جاك لا يملك أي نية للاستسلام، أبداً.

ابتسم ماكس قائلاً: «هل وجّهتك بشكل خاطىء من قبل؟ ألم أعلّمك

أنا كل ما تعرفه عن النساء؟».

- هذا ما أخاف منه.

أجاب جاك متضايقاً، لكنه قليل التجربة بالنسبة للجسارة. لو أن مادي لم...

قال ماكس: «أخبرها فقط بما في قلبك، وسيكون كل شيء على ما يرام. أتمنى لك الحظ، وكل السعادة».

عرف جاك أنه بحاجة إلى كل جزء من الحظ الذي يمكنه الحصول عليه. ثم سمع صوت مادي برأسه. لم يكن عليه العمل ليبرهن نفسه، عليه العمل ليكون سعيداً. وسيعمل بقية حياته لجعلها سعيدة أيضاً.

١٣ - لقاء يحقق الأحلام

طوال الفترة التي يمكنها تذكّرها، كانت مادي تحلم برؤية فلورنسا، لكن أحلامها لم تتضمن أبداً رؤية هذه المدينة الجميلة بمفردها. لم تدرك ذاك الجزء إلا عندما ظهر جاك.

انعقد الألم في داخلها مقطعاً أوصالها، وكل ذلك بسببه. بدا وسيماً ولطيفاً معاً. تعقّبها، دافع عن قضيته، ثم اختفى. في الواقع، هي من ابتعدت، لكنه قال إنه سيراها ثانية، ولم يظهر طوال النهار. ماذا تراه ينوي؟ لا يهم ما قاله، لا يمكنها التصديق بأن هذه ليست لعبة بالنسبة له. لكن جزء منها لا يستطيع الإذعان بحقيقة أنه قطع كل هذه المسافة إلى فلورنسا لرؤيتها. إن ذلك لا يعني شيئاً أكثر من أنه رجل لم يتعود الحصول على «لا» كإجابة.

الآن هي جالسة في المقعد الخلفي في سيارة تسير في المدينة، والفضل يعود إلى خدمة الزبائن الرائعة في الفندق. فقط لأن خدمة الغرف في الفندق تأخرت بتقديم الفطور لها، أصرّت إدارة الفندق على التعويض عن ذلك من خلال تقديم العشاء في أحد أفضل مطاعم فلورنسا. أثناء الطريق راحت تنظر إلى المباني؛ كنائس تاريخية ذات هندسة مزخرفة، تماثيل، ساحات وميادين. كلها مرتدية الأضواء المشرقة.

هذا كل شيء توقعت أن تراه، وحتى الآن لم تختبر فعلاً مثل هذه الوحدة العميقة. لا تعرف أين هو جاك. أينما تنظر تجد أشياء تذكرها به. الجناح في الفندق، المرة الأخيرة التي مكثت في فندق كانت معه. الحصول على سيارة وسائق في تنقلاتها هي من عادات جاك. رغم أنها حاولت حماية نفسها من الرجال السيئين، فقد وقعت في غرام الرجل السيء الموجود أمامها وإلى

www.elromancia.com

جانبها.

انعطفت السيارة ودخلت إلى الموقف، فنظرت إلى المبنى الأبيض مع السطح المرصوف بالقرميد الأحمر. على مسافة قريبة يبرز منظر شامل لأضواء فلورنسا ووادي أرنو. جعلها المنظر تحبس أنفاسها. شد هذا المشهد انتباهها لعدة لحظات فلم تنتبه مباشرة إلى أن الموقف فارغ.

تقدّمت مادي من السائق وقالت: «باولو، هل أنت متأكد أن هذا هو المكان الصحيح؟».

- أجل!

قال السائق ذلك بلكنته الإيطالية العميقة، باولو إيطالي وسيم في الثلاثينيات من عمره، ويملك كل السحر الذي يُعرف به الإيطاليون. تابع: «بوّاب الفندق شخصياً أعطاني العنوان. هذا كارب دييم».

همست قائلة: «فلننتهز فرصة هذا اليوم».

ذكرها الاسم بجاك.

فتح باولو الباب وقال: «هل أدخل معكِ، آنستي؟».

- سوف أتدبر أمري.

ترجلت من السيارة وأضافت: «لكن لا يبدو هذا المكان مفتوحاً، لذا سأقدر عملك إذا لم تغادر على الفور».

أعلن قائلاً: «أبداً».

حين ابتسم، بدت أسنانه بيضاء جداً إلى جانب بشرته الزيتونية، وأضاف قائلاً: «أنا سعيد لأنني أقلّ سيدة جميلة مثلك».

بدا ساحراً، لكنها لا تستطيع التأثر بأي رجل بعد جاك، وهذا غير اعتيادي. حان الوقت لتكتشف ما يحدث. توقعت أن تجد باب المطعم مقفلاً. لكن عندما دفعه باولو تأرجح بسهولة.

داخل المطعم، ظهرت مضيفة ذات شعر قاتم وعينين غامقتين، مرتدية فستاناً قطنياً من اللون البني الداكن. ابتسمت الفتاة وقالت: «آنسة فورد، أنا صوفيا».

- كيف عرفتِ من أكون؟

- أخبرنا الفندق، وأنا بانتظارك.

إنه وقت العشاء في أحد أفضل المطاعم في المدينة، ومع ذلك يبدو المكان فارغاً. سألتها مادي: «أين الآخرون؟».

ابتسمت صوفيا بلطف وقالت: «اتبعيني من فضلك».

تبعتها مادي في الممر المضاء بأضواء خافتة، والذي تحيط به عدة مداخل بشكل قنطرة. في مكان ما هناك نافورة مياه. أصوات الماء الجاري اندفعت نحوها بالإضافة إلى رائحة الزهور، فشدّها هذا الجو الرومنسي الشفاف.

توقفت المضيفة إلى جانب طاولة معدّة لشخصين فقط، مليئة بالأواني الفضية، عليها غطاء من الكتان الأبيض وزهرية بلورية فيها وردة حمراء واحدة. نظرت مادي إلى صوفيا وقالت: «لا أفهم...».

- مرحباً، مادي!

استدارت فجأة، وراح قلبها يضرب بقوة وقالت: «جاك!».

ابتسم للمرأة الإيطالية الشابة وقال: «شكراً لكِ، صوفيا. أنا سأتولى الأمر».

عندما أصبحا لوحدهما، حدقت إليه مادي وقالت: «ماذا يجري؟ اختفيت دون أي كلمة، ثم ظهرت لتفقدني صوابي من الخوف».

- لم أقصد ذلك.

أخذ زجاجة الشراب الفاخر عن الطاولة وسكب القليل منها في كوبين وقال: «لنشرب نخب فلورنسا».

مع هذه الكلمات عادت ذكريات عيد الميلاد في لندن وقدر كبير من الألم، فأجابته: «لا!».

دسّ يديه في جيبي بنطلونه الفضفاض الغامق، فأظهرت كنزته المحبوكة بلون القشدة محيط صدره العريض.

- حسناً! إذاً أخبريني ما هي الأماكن السياحية التي رأيتها حتى الآن.

كانت على وشك أن تخبره أنها لا تحتاج إليه مطلقاً ليكون مرشدها

www.elromancia.com

السياحي، ثم فكّرت بتغيير رأيها. إذا كانت تعرف شيئاً عن جاك، فهو أنه عنيد. سوف تنتهي من هذا بشكل أسرع إذا تعاونت معه في برنامجه.

- رأيت ساحة مايكل آنجلو مع إنتاجاته من تماثيل كنيسة مَدِيسي في سان لورنزو ودايفيد مايكل آنجلو. جُلْتُ البونت ڤاكيو، وهو الجسر الرائع الوحيد الذي استُثني من ضربات الألمان المنسحبين في نهاية الحرب العالمية الثانية. رأيت سانتا ماريا دل فيور والديومو، التي تطل على الصورة الظلية للمدينة...

توقفت لتأخذ نفساً.

علّق جاك قائلاً: «إذاً كنت منشغلة في غيابي. هل وجدت في المدينة كل شيء أملتِ أن تجديه؟».

لا! وكل هذا بسببه. لقد سرق الفرح من عالمها ولم تعرف كيف تسترجعه، فقالت: «إنها مدينة جميلة».

قال وقد بدت عيناه قاتمتين: «ليست بمثل جمالك».

- لنتوِ هذه المطاردة، جاك. لماذا أجد المطعم فارغاً؟

- حجزته لنا فقط. وقبل أن تسألي، أنا تآمرت مع بواب الفندق لإحضارك إلى هنا. أردت مفاجأتك.

تعرف مادي أن ليس لديه نوايا خبيثة، ولا يمكنها تصور السبب الذي دفعه ليحتال عليها.

- لماذا تلجأ إلى هذه المتاعب الكثيرة؟

- لأن أموراً كثيرة تتوقف على ما سيحدث بيننا.

تركزت عيناه عليها إلى أن شعرت بالحرارة تشتعل في داخلها.

- مثل ماذا؟

بدا صوتها همساً صادقاً لا علاقة له بالصدى في المطعم الخالي.

- حياتي وسعادتي.

أخذ يديها بين يديه الدافئتين ونظر إلى الوردة مضيفاً: «هذه المرة لا أريدها أن تنتهي بالزهور. أريدها أن تدل على بداية علاقتنا. إنها وردة حمراء

واحدة. حبّ أبدي واحد. بالرغم مما تعتقدين، لم أقل هذا لأي امرأة أخرى. أنا أحبك مادي، وأريد الزواج بكِ».

لم تفهم مادي الأمر. كانت الفرصة بين يديه وأرسلها بعيداً.

- آه! أصبح الأمر واضحاً. سمحت لك بمعانقتي مرة، لكن ذلك لن يحدث ثانية.

ترك يديها قائلاً: «هذا ليس ما أعنيه الآن».

- لا؟! أي سبب آخر لديك لتظهر هنا وتستعمل كلمتي: حب وزواج؟

- أفترض أنني أستحق هذا!

زمّ فمه للحظة وتابع: «أجل، أرغب كثيراً في معانقتك. أنا أريد ذلك مثلما أردته عندما كنّا في إيرلندا. لكن هذا الأمر ليس مجرد علاقة عابرة، مادي. أنا أريدك في حياتي. أريد أن أُرزق بأولاد منك. أرغب في أن نكبر سوياً. أريد أن أجعلك سعيدة».

لا يمكنها استيعاب هذا كلّه، لذا توقفت عند الشيء الأول الذي قاله وسألته: «هل أردت عناقي آنذاك؟».

- آه! مادي الطيبة.

ابتسم لتغيير الجو وهو يضع خصلة من شعرها خلف أذنها وأضاف: «ليس لديك فكرة كم صعُب عليّ أن أسمح لك بالذهاب تلك الليلة».

- إذاً، لِمَ فعلت هذا؟

- لأنكِ صدمتني عندما أطلقت تلك المفاجأة المذهلة بأنها المرة الأولى التي تسمحين لرجل بالتقرب منك... لأنك مسؤولية مرعبة وهدية ثمينة... لأنني لست جيداً لك.

ظلّ لفترة طويلة وحيداً وخائفاً، محاولاً الإثبات لوالده بأنه ليس فاشلاً، وقد حان الوقت ليؤمن بنفسه. أجابته: «لا أريد سماع هذا ثانية جاك. أنت رجل جيد ومحترم».

- لست جيداً كفاية لك.

أخرج نفساً عميقاً وتابع: «لو كنت جيداً، لرحلت الآن. لكنني لا

www.elromancia.com

أستطيع مادي. أنا بحاجة إليك».

– أنت لا تتكلم عن العمل.

– هذا آخر شيء أريد التحدث عنه.

قال ذلك بغضب وتابع: «أتحدث عن أمر شخصي جداً. أدركت بعد أن استقلتِ من العمل وتركتني في لندن أنني أحبك منذ فترة طويلة».

رأت مادي وجوهاً كثيراً لجاك ثالتين. من الساحر إلى المعذّب، لكنها لم ترَ هذا اليأس. بالكاد يمكنها تصديق هذا... إنها تخاف من تصديقه. هذا ليس حلماً رائعاً.

– إذا كانت هذه طريقة تفكيرك...

لمع الغضب في عينيه ثانية، فتحول لونهما إلى اللون الأزرق القاتم، ثم قال: «أنا لست لطيفاً أو ساحراً. ولا أملك أي شيء احتياطي لأنجز هذا بنجاح. بالإضافة إلى أن ذلك لن ينجح لأنك تعرفينني».

مرّر جاك أصابعه بشعره وقال: «أنا أقول حقيقة شعوري الصادق ببساطة. أنا أحبكِ وأريد الزواج بكِ. ولن أرضى بأقل من هذا. ما من رجل يمكنه أن يحبك مثلي. ما من رجل يستطيع أن يحبك أكثر مني طالما أعيش. أنت ممتازة لي».

أمسك وجهها براحتي يديه والتقى نظره بنظرها متابعاً: «لك كل الحق بتعذيبي، لكنني أعرف أنك تحبينني».

– أتعرف؟ ماذا؟

ظهر التوتر على وجهه وأجابها: «كنت مستعدة لعناقي تلك الليلة. لم أحترم امرأة أبداً مثلما أحترمكِ. أنت تملكين حدساً يجعلني راغباً في التشرب من أفكارك بنهم. لو لم أكن أحمق وغبياً... أنا مستعد للتخلي عن كل ما أملكه لأسترجع الألم الذي سببته لك، مادي. أعطني فرصة. اسمحي لي بأن أعوض لك عن ذلك».

ابتسمت له مادي حين اندفعت السعادة في داخلها، وأجابته: «سبق أن فعلت ذلك جاك. أنت محق، فأنا مغرمة بك. أنا أحبك من كل قلبي».

أغمض عينيه للحظة وعندما فتحهما، بدا نظره واضحاً، خالياً من الهم و... سعيداً.

– هذا أهم رهان في حياتي وأريد أن أقوم به بالطريقة الصحيحة.

ركع على ركبة واحدة، وأدخل يده في جيبه مُخرجاً خاتماً فيه أكبر حبة ماس رأتها عينا مادي في حياتها، وقال: «ماديسون فورد، هل تقبلين بي زوجاً لك؟».

– أجل!

– هل تتزوجينني هنا؟ في فلورنسا؟ دعيني أصطحبك في شهر عسل هنا في المدينة التي رغبت دائماً برؤيتها.

همست مادي: «أجل».

لم تؤمن مادي أبداً أنه يمكن أن تحصل على كل ما ترغب به وتبقى صادقة مع نفسها. لكن عندما وقف جاك وأخذها بين ذراعيه ثم عانقها بشغف، عرفت أن رئيسها الشقيّ سوف يحقق كل أحلامها.

www.elromancia.com